من هنا نبدأ

من هنا نبدأ

أيمـــــن دســـــوقـي

من هنـا نبــدأ

اسم الكاتب: أيمن دسوقي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: فـارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2018/ 20499
الترقيم الدولي: 978-977-776-777-4

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
السادس من أكتوبر – المحور المركزي – مول سيتي ستار
01030365801

بحث عن الداء والدواء

من كتاب الله ومن هدي رسوله العدنان

ومن اقوال الأئمة الأعلام

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً فقال ﴿ﷻ﴾

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾ المائدة: ٣

حمداً كثيراً طيباً مباركً فيه وأصلي وأسلمُ علي خيرِالبريه محمد الذي أرسله الله نوراً وضياء للعالمين، طهر به القلوب وأنار به العقول ووحد به الصفوف، فأصبحت القلوب الغليظة قلوبٌ رحيمة، والحروب والعداوات إلى سلم ووفاق ، وأخذ بالناس من العقائد الباطلةِ الكاذبة إلى عقيدةُ صادقةُ راسخةُ سليمة

الله ﴿ﷻ﴾صل عليه والملائكة تشريفا وأمرنا أن نصلي عليه تعبداً وتكريماً فقال ﴿ﷻ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ الأحزاب:

صلاةً وسلاماً عليك وعلي الخلفاءِ الأربع

{ أبو بكرٍ وعمرَ وعثمان وعلي}،

وعلى الصحابة الكرام وأهل بيته الأشراف الأطهار،

ومن سار على أثارهم وأهتدى بهديهم ونسأل الله تعالىأن يجعلنا منهم ويحشرنا معهم في جنته جنة النعيم .اللهم أمين .

تمهيد

تلك الخواطر أكتبها من وحي ربي الذي أنزله علي نبيه
ومن هدي حبيبي ﷺ الذي خرج من فمه
فأنارت حروفه قلبي وأزاحت الغشاوة عن بصري
ومن أقوال العلماء الذين تربوا علي الكتاب والسنه
وكانوا سلفا لهذه الأمه
من نظر في الدينا التي نعيشها والصراع الذي فيها من أجلها
وما فيها من فساد وسفك دماء وضياع حقوق وواجبات
لظن المبصر فيها أنه يعيش في غابه من الغابات
وبين وحوش القانون ،قانونهم البقاء فيهم للأقوى
ألم تحدثك نفسك وتصيح من داخلك
لماذا ؟و لماذا؟ ولماذا؟
لماذا تَأخرَ المُسلمون واضطهد الموحدون
وغُلب المتدينون وأيُسرَ المصلون الصائمون
وذهبت الأخلاق وفترت الهمم وماتت العزائم
وطاشت الأحلام وتحجرت العقول
ودُفنت العواطف وضاعت المرؤة
وصمت المرشدون ويئس الأطباء
وقنط الراجون المشفقون
والأمةُ تتألم ولا تعرف الدواء،
وتئنُ ولا تهتدي لموضع الداء
تتحرك ولكن بغير نظام
وتحس ولكن بغير رؤيه

وتنطق ولكن بغير صواب
وتنظر ولكن بغير نور
وتطلب ولكن بغير عقل
وتشكوا ولكن لغير طبيب
وتسير ولكن علي غير هدي
مشتتة الأفكار مفقودة الأحباب مكسورة الجناح
تبحث عن النجاة
ولكن اليأس ليس سبيلها لأنها تعلم أن لها رب
يدبر أمرها ويُبصر أفعالها ويثبت أقدمها
ويضع لها ضوابط وحدود يَسير عليها أمرها
من أجل إصلاح هذه الدنيا ومن يعيش فيها
فهي أمةُ النجاة ،أمةُ الإصلاح ،أمةُ البقاء
أمةٌ ابتعثها الله لإخراج العباد من عبادة العباد
إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان
إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا
إلي سعت الدنيا والأخرة

ولكن أين الطريق ؟
ومن المعين ؟
ومن أين نبدأ ؟

من هنا نبدأ

إن الفساد داء بيْنه لنا ربنا جل في علاه في كتابه العزيز الحكيم الذى أنزله على نبيه ﴿ﷺ﴾ فقال ﴿ﷻ﴾:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾

{ألم ترى إلي الذين أنعم الله عليهم فأمَّنهم من خوف وأطعمهم من جوع وجعل البيت الحرام شرفا لهم كيف بدلوا هذه النعم فشكروا وسجدوا لغير الله حتي أحلوا قومهم دار البوار التي هم فيها خالدون وفي نارها هم يعذبون }

وقال ﴿ﷻ﴾ ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ **الروم ٤١**

ظهر الفساد في البر فلم تُخرج الأرض ما فيها من نبات وكثر في سكانها الأمراض ، ظهر الفساد في البحر ففسد ماءه وقلَ خيره وذلك بسبب المعاصي والذنوب التي يفعلها البشر ليذيقهم عقوبة بعض ما فعلوه من أفعال كي يتوبوا ويرجعوا إليه سبحانه { المصحف الميسر}

وجعل لهذا الداء دواء

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ **المائدة ١٠٥**

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ألزموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وداوموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم، فإذا فعلتم ذلك فلا يضركم ضلال مَن ضلَّ إذا لزمتم طريق الاستقامة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، إلى الله مرجعكم جميعًا في الآخرة، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها { المصحف الميسر}

داء تفشى بيننا أخبرنا به نبينا ﷺ كما في الصحيح عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: {يتقاربُ الزمانُ ويَنْقُصُ العلم وَيَبْقَى الشحُّ وتظهر الفتنُ ويكثر الهرْجُ. قالوا: يا رسول الله ايما هو؟ قال: القتلُ القتلُ}

وفيه أيضاً عن الزبير ﷺ عن عدي قال: أتينا أنس بن مالك ﷺ فشكونا إليه ما نلقى من الحَجَّاج بن يوسف الثقفي، فقال: {اصبروا فإنه لا يأتي على الناس زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم" سمعت هذا من نبيكم ﷺ}

وروى الإمامان البخاري ومسلم من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {ستكونُ فتن القاعدُ فيها خير من القائِم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي مَنْ يُشْرفْ لها تَسْتَشْرِفْه فمن وجد فيها مَلْجأ أو مَعَاذاً فَلْيَعُذْ به}

وروى الإمام أحمد في المسند عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ فِتَناً كَقَطِيع الليل المظلِمً يصبحُ الرجل فيها مؤمناً ويُمْسِي كافراً ويمسي مؤمناً ويُصْبحُ كافراً: القاعدُ فيها خير من القائم والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فَكسّروا قِسِيّكُمْ١ وقَطِّعُوا أوْتَارَكُمْ واضربُوا سُيُوفَكُمْ بِالحجارة، فإِن دُخِلَ يَعْنِي عَلَى أحَدٍ منكم فَلْيَكنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ}

ثم قال الإمام أحمد: حدثتنا أم حرام، حدثني أبو عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: ركب ﷺ وَأرْدَفَنِي خَلْفَهُ فقالَ : {يا أبا ذَرّ أرأيْتَ إِنْ أصَابَ الناسَ جوعٌ شَديد لاَ تَسْتَطِيعُ معه أنْ تقومَ مِن فِراشِك إِلى مسجدك كَيْفَ تَصْنَعُ؟" قلت: الله ورسولهُ أعْلَمُ. قال: "اصْبِر"، قال: "يا أبا ذر أرأيت إِن أصاب الناس موت شديدٌ كيف تصنع؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "اصْبِرْ".

قال:{يا أَبا ذر، أرأيت إِن قَتَلَ الناسُ بَعضُهم بعْضاً يعني حتى تَغْرِقَ حجارةُ الْبَيْتِ من الدماءِ كيف تصنع؟" قال: الله ورسوله أعلم. قال: "اقْعُدْ في بَيْتِكَ وأغلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ". قال: فإِن لم أتْرَكْ أفأخُذُ سِلاَحي؟ قال: "إِذاً تُشَاركُهُم فيما هم فِيه، ولكن إِن خشيت أن يُرَوّعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فالْق طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ كَيْ يَبْوءُ بإثمه وإِثمك}

وروي أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "إن أمَامَ الدجال سنين خِداعةً يَكْذبُ فيها الصادقُ ويُصدق فيها الكاذب، فيَخُون فيها الأمينُ ويُؤتَمَنُ فِيها الخائِنُ، ويتكلم فيها الرُّوَيْبِضةُ" قيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: "الْفُوَيْسِق يتكلم في أمر العامة" وهذا إسناد جيد. تفرّد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدثنا يونس، وشريح، قالا: حدثنا ابي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ "قبل الساعة سنون خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة قيل ومن الرويبضة يا رسول الله قال سفاهة القوم يتكلمون في خاصتهم

توضيح لا بد منه :

هذا إن كان الصراع من أجل الدنيا ، ومن أجل كسب مغنمه ،أو فوز بمنصبٍ ، أو تحقيق غاية من غايات الدنيا فتجنب الفتن أسلم وأغنم ، وأما إن كان من أجل الدين والوطن والنفس والمال والعرض فإن القعود تخاذل وذل وترك واجب الجهاد ، فلماذا شَرع الله الجهاد وبين لنا الرسول العدنان ﷺ أنه من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله ﷺ وحثنا الله عزوجل عليه في كتابه العزيز في آيات كثيرة :

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ النساء: ٩٥ – ٩٦

لا يتساوى المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله -غير أصحاب الأعذار منهم- والمجاهدون في سبيل الله، بأموالهم وأنفسهم، فضَّل الله تعالى المجاهدين على القاعدين، ورفع منزلتهم درجة عالية في الجنة، {المصحف الميسر}

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الصف: ٩

الله هو الذي أرسل رسوله محمدًا بالقرآن ودين الإسلام؛ ليجعله مهيمنا على كل الأديان المخالفة له، ولو كره المشركون ذلك {المصحف الميسر}

فمن غير وبدل وأظهر دين المشركين علي هذا الدين الذي ارتضاه الله لنا فوجب علي كل مسلم أن يأخذ علي يداه وأن يدافع عن هذا الدين بكل ما أتاه الله من قوة مع الضوابط الشرعية المعلومة عند أهل العلم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الصف: ١٠ – ١٣

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، هل أُرشِدكم إلى تجارة عظيمة الشأن تنجيكم من عذاب موجع؟ تداومون على إيمانكم بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما تملكون من الأموال والأنفس، ذلك خير لكم من تجارة الدنيا، إن كنتم تعلمون ، فامتثلوا ذلك. {المصحف الميسر}

ومن السنه الصحيحة التي تعلمناها من رسولنا ومعلمنا ﴿ﷺ﴾الذى علمه شديد القوى من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال :

قال رجل أي الناس أفضل يا رسول الله ؟

قال {مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله }

قال: ثم من؟

قال {ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يتقي ربه ويدع الناس من شره}

وشرع لنا الشارع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن النعمان بن بشيرﷺ: عن النبي﴿ﷺ﴾ قال {مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا علي سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علي من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا علي أيديهم نجوا ونجوا جميعا}

فهلاك المجتمع مترتب علي ترك أصحاب المنكر والفتن يعيشون في الأرض فيكثروا فيها الفساد،فالمؤمن قائمٌ بأمر الإله لا يحب الفساد ولا يخشى إلا مولاه

وعن بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﴿ﷺ﴾قال {ما من نبي بعثه الله إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل}

فالفتنة التي فيها صراع بين أهل الدنيا فنحن مأمورون باعتزالها وعدم التعرض لها وأما الفتنة بين أهل الحق وأهل المنكر والكفر والباطل فنحن مطالبون ومأمورون أن نتصد لها وأن ندفع بها ونجاهدها {علي النحو الشرعي لا بالهوى} حتي لا تكون فتنة ولا فساد في الأرض ويكون الدين كله لله وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله عزوجل في الركن لثالث {الأمروالنهي }

الدواء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧

فأعلم أن العمل الصالح دواء يقضى علي داء الفساد فلا تستقل العمل ولو طال فترة المرض فالحياة تطيب به والجزاء الحسن يزداد به

قال ﴿ﷺ﴾ ((تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي))

ففي كتاب الله وسنة رسوله حياة ، حياة للقلوب والأبدان والأوطان كما دعا الله إلي ذلك فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤

وقال علي ﷺ{من أصلح بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه ومن كان من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ}

وقال بن تيميه رحمه الله {للفتنه سببان إما ضعف العلم وإما ضعف الصبر ،فإن الجهل والظلم أصل الشر وفاعل الشر إنما يفعله لجهله بأنه شر ونفسه تريده فبالعلم يزول الجهل وبالصبر يحبس الهوي والشهوة فتزول تلك الفتنه}

وقال الامام مالك ((لا يصلح آخر هذه الأمه إلا كما صلح به أوله)).

وفي رواية (لا يصلح آخر هذا الزمان إلا كما صلح به أوله)

وصلاح الزمان هو بدأ خلق آدم عليه السلام

وكان صلاح الأرض علي خمسه أركان وهي التي وردت في الربع الثاني من سوره البقرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ

وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

عندما أخبرنا الله ﴿ﷻ﴾ عن خلق أدم أرشدنا عن صلاح الدنيا علي خمسة أركان.

الركن الأول، هو النشأة في الآية (٣٠)

{ إِنِّي جَاعِلٌ }

أي إني خالق إني ناشئ ، إني جاعل في الأرض قومًا يخلف بعضهم بعضًا لعمارتها.

والركن الثاني، هو العلم في الآية (٣١)

{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ }

العلم الذي فُضل به بني أدم عن سائر الخلق

والركن الثالث، هو الأمر والنهي في الآية(٣٥)

(وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ)

فإن الذي خلق هو الذي له حق الأمر والنهي

ثم الركن الرابع، وهو التوبة والإنابة والاستغفار في الآية (٣٧)

((فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ))

وهي من الأسباب التي خلق من أجلها أدم

ثم الركن الخامس، وهو الخوف والرجاء في الآية (٣٩،٣٨).

﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩ ﴾

أن ترجو رحمته وتخاف عقابه

فكانت الأركان الخمسة هي :

١.النشأة. ٢. العلم . ٣. الأمر والنهي .

٤- التوبة والإنابة والاستغفار. ٥. الخوف والرجاء.

أسأل الله عزوجل التوفيق والسداد

(وما توفيقي الا بالله)

الركن الأول النشأة

النشأة هي الحياة التي يُحييها من نشأ فيها قال الله تعالى

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الواقعة: ٦٢

والنشأة علي قسمين نشأة حسيه ونشأة معنويه .

أما الحسيه فهي دب الحياة في كل ما ينفع الناس من زراعه ، وصناعه ، وتجارة ، وصيد ، ومنافع الحياه. كقوله تعالي :

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة:

إن في خلق السموات بارتفاعها واتساعها، والأرض بجبالها وسهولها وبحارها، وفي اختلاف الليل والنهار من الطول والقصر، والظلمة والنور، وتعاقبهما بأن يخلف كل منهما الآخر، وفي السفن الجارية في البحار، التي تحمل ما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء المطر، فأحيا به الأرض، فصارت مخضرَّة ذات بهجة بعد أن كانت يابسة لا نبات فيها، وما نشره الله فيها من كل ما دبَّ على وجه الأرض، وما أنعم به عليكم من تقليب الرياح وتوجيهها، والسحاب المسيَّر بين السماء والأرض -إن في كل الدلائل السابقة لآياتٍ على وحدانية الله، وجليل نعمه، لقوم يعقلون مواضع الحجج، ويفهمون أدلته سبحانه على وحدانيته، واستحقاقه وحده للعبادة.

فدلت علي المنافع التي هيئها الله عزوجل للإنسان للاستقرار

التفسير الميسر

و قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ الملك

الله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها وجوانبها، وكلوا من رزق الله الذي يخرجه لكم منها، وإليه وحده البعث من قبوركم للحساب والجزاء. وفي الآية إيماء إلى طلب الرزق والمكاسب. "التفسير الميسر"

وقول الرسول ﴿ﷺ﴾ (إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فصيله فليغرسها)

أنظر إلي قول النبي لم يقل يسارع في التوبة ولا يكثر الإستغفار ولكن يسارع إلي الإعمار فالحياة لا تتوقف عند موت أحد فهي باقيه إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها

وقوله تعالي

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود:

هو الذي بدأ خَلْقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم عُمَّارا لها، فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح ، إن ربي قريب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

التفسير الميسر

وفي الآية (٣٢)من سوره النجم :

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾

هو أعلم بأحوالكم حين خلق أباكم آدم من تراب،

ولكن إذا جاء الإعمار علي غير نهج الله عزوجل كان الهلاك والدمار كما أخبرنا الله عزوجل عن الأمم السابقة

كما ورد في سوره الفجر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾ الفجر: ٦ – ١٤

فبين الله عزوجل أن هذه الأمم عمروا الأرض فتلك عاد أصحاب الأعمدة الرفيعة العالية وقد وصفوا في القرآن بالقوة والبطش فقد كانت قبيلة عاد هي أقوي قبيلة في وقتها

وثمود الذين نحتوا الجبال وصنعوا منها بيوتا وقطعوا الصخور وشيدوها قصورا

وفرعون صاحب الأسطول الحربي والأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض متينه البنيان فوصفه الله بذي الأوتاد لكثره جنوده وخيامه ولكن لما طغوا علي قلوب العباد وأكثروا في الأرض الفساد لم ينفعهم إعمارهم ولم ينفعهم ملكهم ،فعمروا بغير نهج الله فدمر الله عليهم وأهلكهم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾ الحشر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحجر: ٧٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ النازعات: ٢٦

أما المعنوي فهو تطهير النفس والقلب وتخليصهما من الران الذي طبع عليها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المطففين: ١٤

فلا بد من سلامه النفس والقلب من كل ما يمرضهما ((في قلوبهم مرض))

فلا بد أن يكونا طاهرين خالصين

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٩

وقوله تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾

حتي تكون نفسا زاكية سوية متطهرة تشق طريقها في الحياة متصلة بخلقها ومهتديه بهداة فتقوم بواجبها في الخلافة علي هذه الأرض قياما صحيحا وتؤدي أمانتها في عمارة الكون بالخير أداء كاملا وحتي تتميز عن غيرها من سائر المخلوقات بسلوكها كما ميزها الله عزوجل في خلقتها

مدارج السالكين

فقال ﷻ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ التين

لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة.

وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتحرير النفس البشرية من كل ما يؤثر علي استقامتها وطهارتها وقوتها المعنوية لأنها أصل لكل تغير يحدث في أي مجتمع وفي أي زمان.

كما بين لنا ربنا ﷻ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ الرعد: ١١

وفي سوره الأنفال٥٣ :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ ﴾

فقد اقتضت مشيئة الله سبحانه وحكمته أن لا يغير ما بقوم من نعمة أو عزة أو ذلة أو مكانة أو مهانة إلا إذا غيروا من أنفسهم بكل ما تحمله من {نية وعمل وواقع}

فإن الله عز وجل أودع في هذه النفس فطرة سليمة تميز الخير من الشر كما بين سبحانه :

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ الشمس: ٧ – ١٠

قال إبراهيم بن أدهم { أشد الجهاد جهاد الهوي ومن منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلاها وكان محفوظا ومعافي من أذاها}

وفي سوره الروم٣٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾

وحديث النبي صل الله عليه وسلم{كل مولود يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه}

وهذا التميز للنفس السليمة وليس لغيرها كما بين سبحانه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ يوسف: ٥٣

إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلبا لملذاتها، إلا مَن عصمه الله. إن الله غفور لذنوب مَن تاب مِن عباده، رحيم بهم.

وقال الحسن البصري رحمه الله: {إن النفس أمارة بالسوء فإن عصتك في الطاعة ، فاعصها أنت في المعصية }

وقال بن المبارك : {من أعظم المصائب للرجل أن يعلم من نفسه تقصيرا ثم لا يبالي ولا يحزن عليها }

وقال يحيي بن معاذ: {أعداء الانسان ثلاث دنياه وشيطانه ونفسه فاحترز من الدنيا بالزهد ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات}

تحرير النفس

يجب أن تعلم أن تحرير النفس بتخليصها من ثلاثة أمور:

١.الإعتقاد

٢.اليأس والجزع

٣.الفرقة والتحزب

أولاً: الإعتقاد :

أن تُحررها من كل الآلهة التي استعبدتها ، ومن كل الطواغيت التي طغت عليها، وتخلصها من الأرباب التي هوت بها في الضلالات، والأنداد التي أغرقتها في الشبهات والشهوات

والإله -هو: من قصدته في جلب نفع أو دفع ضر

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾ ﴾ **الفرقان: ٣**

واتخذوا معبودات من دون الله لا تستطيع خَلْق شيء، والله خلقها وخلقهم، ولا تملك لنفسها دَفْعَ ضر أو جلب نفع، ولا تستطيع إماتة حي أو إحياء ميت، أو بعث أحد من الأموات حيًا من قبره. التفسير الميسر

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾

"تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع" .

وصفهم النبي ﴿ﷺ﴾: بعباد الدنانير والدراهم والخميصة لما تعلقوا بها وظنوا أنها سبب إسعادهم في حياتهم الدنيا وأن فيها العزة والرفعة والسمو والسيادة.

قال بن القيم رحمه الله: { فاعلم أن التعلق بغير الله هو من أعظم المفاسد علي الأطلاق ، وليس عليه أضر من ذلك ولا أشقي ولا أبعد عن السعادة منه، فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلي ما تعلق به وخذله من جهة ما تعلق به وفاته ما أراد الله به من هذا الأمر لتعلقه بغيره واقباله عن سواه فلا علي نصيب من الله حصل ولا إلي ما تعلق به من أمل وصل }

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ مريم: ٨١ –٨٢

واتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله؛ لتنصرهم، وتكون رمز لفخرهم وعزتهم ليس الأمر كما يزعمون، لن تنصرهم الآلهة و لن تكون لهم عزًا، بل ستكفر هذه الآلهة في الآخرة بعبادتهم لها، وتكون عليهم ضدا في خصومتهم وتكذيبهم بخلاف ما ظنوه فيها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ يس: ٧٤

عن أبي هريرة مرفوعاً : - قال الله تعالى: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: - ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟- قالوا: بلى يا رسول الله! قال: - الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل- رواه أحمد. فاعلم أن سبب الشرك وقاعدته التي بني عليها هو التعلق بغير الله وقد جعل الله ذلك سببا للذم والخذلان كما بين الله عز وجل في سوره{الأسراء(٢٢)

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾

ومن ذلك التعلق من أصابه مرض فإن الله عز وجل قد شرع التداوي كما قال ﴿ﷺ﴾ من حديث أبا هريره {ما أنزل الله داء إلا وأنزل الله له شفاء} ومن حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﴿ﷺ﴾ :

{لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بأذن الله}.

\ولكن تعلق المريض بالطبيب وبالدواء ولم يتعلق بمن بيده الأمر كما قال تعالي حاكيا عن إبراهيم عليه السلام :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ الشعراء

هو الذي خلقني في أحسن صورة فهو يرشدني إلى مصالح الدنيا والآخرة، وهو الذي ينعم عليَّ بالطعام والشراب، وإذا أصابني مرض فهو الذي يَشْفيني ويعافيني منه، وهو الذي يميتني في الدينا بقبض روحي، ثم يحييني يوم

القيامة، لا يقدر على ذلك أحد سواه، والذي أطمع أن يتجاوز عن ذنبي يوم الجزاء.

ومن تحرير النفس تخليصها لخالقها والتوكل عليه في كل شيء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المائدة: ٢٣

وقال بن مسعود ﷺ {إن أشد آية في القرآن تفويضا هي قوله تعالي:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ الطلاق: ٣

ومن يتوكل على الله فهو كافيه ما أهمَّه في جميع أموره.

وفي سوره النساء: ٨١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٨١﴾ ﴾

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عباس ﷺ:

(من حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين عرفهم لنا النبي ﴿ﷺ﴾ بأنهم هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلي ربهم يتوكلون).

وفي صحيح البخاري عن بن ابن عباس ﷺقال:

((حسبنا الله ونعم الوكيل)) قالها إبراهيم ﴿ﷺ﴾ حين ألقي في النار وقالها محمد﴿ﷺ﴾ حين قالوا له ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٣

وفي السنن عن أنس قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾

((من قال إذا خرج من بيته بسم الله توكلت علي الله ولا حول ولا قوه إلا بالله يقال له هديت ووقيت وكفيت ، فيقول الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي))

والتوكل هو : عمل القلب ومن العلماء من فسره بخمود حركة القلب فيقول التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب كانطراح الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار

مدارج السالكين

ومنهم من يفسره بالرضا فيقول هو الرضا بالمقدور

قال بشر الحافي : يقول أحدهم توكلت علي الله وهو يكذب علي الله، لو توكل علي الله رضي بما يفعل الله

ومنهم من يفسره بالثقة بالله والطمأنينة به والسكون إليه .

قال ذو النون:

هو ترك تدبير النفس والإنخلاع من الحول والقوة وإنما يقوي العبد علي التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويري ما هو فيه.

وخلاصه ذلك أن التوكل _هو: التعلق بالله في كل حال.

وهو: نفي الشكوك والتفويض إلي ملك الملوك.

وقال أبو تراب النخشبى :

هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلي الكفاية فإن أعطي شكر وإن منع صبر.

ولكن أجمع أهل العلم أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد .

{مدارج السالكين}

ففي حديث الإستخارة شمل كل هذه الأمور

كما قال رسول الله ﷺ ((اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم)) فهذا توكل وتفويض.

(فإنك تعلم ولا أعلم وتقدرولا أقدروأنت علام الغيوب) فهذا تبرأ إلي الله من العلم والحول والقوه وتوسل إليه.

(ثم يسأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر ثم يسميه) فهذا هو الأخذ بالأسباب .

(واقدرلي الخيرحيث كان ثم رضيني به) وهوكمال الرضا.

والرضا له في القلب لذه لا يعلمها إلا من اكتمل الإيمان في قلبه كما بين رسول الله ﷺ :

{ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا }

فمن رضي بالله ربا رضي بمحبته وخوفه ورجائه والإنابة إليه، والرضا بتدبيره والتوكل عليه والإستعانة به والإعتماد عليه ، وأن يكون راضيا بكل ما يفعله به.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ :

{إن الخيركله في الرضا فإن استطعت أن ترضي وإلا فاصبر}

وقال بن تيميه رحمه الله:

{الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا وبستان العارفين}

وقد دلت سورة الفاتحة علي هذه المعاني كلها في قوله تعالي

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥

إنا نخصك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة.

وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والذبح والطواف والنذر والخوف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير ملك الملوك ومن أمراض الرياء والعجب، والكبرياء. التفسير الميسر

فأول طريق الإصلاح تطهير النفس من الآلهة التي استهوتها .إلي إله واحد الذي دل علي وحدانيته ووصف نفسه سبحانه وتعالي فقال:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤

قل يا أيها الرسول وأخبر قومك وأخبر جميع الخلق إلي قيام الساعة أن الله هو المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يشاركه أحد فيها. وهو وحده المقصود في قضاء الحوائج والرغائب. ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة ولم يكن له مماثلا ولا مشابهًا أحد من خلقه، لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدَّس سبحانه التفسير الميسر

وقال النبي ﴿ﷺ﴾ {من عرف نفسه عرف ربه}

وسئل ذو النون المصري بماذا عرفت ربك؟ فقال رحمه الله:

{عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي}

وسئل عبد الرحمن بن حاتم عن رجل يقول عرفت الله بالعقل والإلهام فقال:

{من قال عرفت الله بالعقل والإلهام فهو مبتدع، بل عرفنا كل شئ بالله}

وقال عبد الله بن رواحه وهو ينشد علي رسول الله﴿ﷺ﴾

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فما أعظمه من إله خلق فسوي وقدر فهدي وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنه وعلم سرنا وجهرنا فهو الإله الواحد الذى لا يتجزأ والصمد الذى يقصد لذاته ولا يقصد لغيره ولا يعلم غيبيه إلا هو سبحانه خلقنا ورزقنا ودبر أحوالنا فله الحمد والمنه

وقال بن القيم رحمه الله :

{من أعجب الأشياء أن تعرف ربك ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الاجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته}

الطاغوت

أن تطهر النفس من كل طاغوت استحوذ عليها وكانت له أسيره.

والطاغوت هو كل مرغوب ومتبوع ومحبوب ومرهوب من دون الله ﴿ﷻ﴾

وقد عرفه ابن القيم {رحمه الله}: تعريفا جامعا فقال:

[الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه علي غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمونه أنه طاعة لله].

كما أوضحت الآيات من سوره (النساء{٥١})

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾

وفي (المائده {٦٠})

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾

فدلت علي أنهم كانوا يؤمنون بالسحر والشياطين فعبدوهم من دون الله

وفي سوره (النساء{٦٠}:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾

دلت علي أنهم اتخذوا الطاغوت مُشرعاً وحاكماً من دون الله .

وفي سوره (النساء {٧٦})

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾

دلت علي أنهم يتناصرون ويجاهدون في سبيل الطواغيت.

وقد أمر الله عزوجل أن نكفر بتلك الطواغيت وأن نتبرأ منها

كما بين سبحانه وتعالي في سوره (البقرة{٢٥٦})

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾

ودل علي أنهم يخرجون العباد من (النور) الطريق الواضح المستقيم إلي {الظلمات }الطرق المتشعبة المعوجة والضلال البين الذي يهدي أصحابه ليكونوا من أصحاب السعير كما جاء في سوره البقرة{٢٥٧}

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧ ﴾

وأرسل الله الرسل إلي الأمم كل رسول إلي أمته يأمرهم أن يجتنبوا ويكفروا بهذه الطواغيت وأن يعبدوا الله وحده كما جاء في سوره النحل {٣٦}

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾.

وجعل البشري في الحياه الدنيا والآخرة لمن تجنبها وكفر بها كما جاء في سوره (الزمر{١٧})

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾

وقال الجوهري:

الطاغوت هو:(الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال).

فقد نصبوا أنفسهم آلهة من دون الله زعموا أنهم لهم القدرة علي فعل أشياء هي من صفات الله عزوجل ، ومنهم كبيرهم ابليس عليه لعنة الله ظن أنه يستطيع أن يضل العباد وأن يستعبدهم كما بين الله سبحانه وتعالي:

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ النساء: ١١٧ – ١٢١

زعموا أن بأيديهم الموت والحياه كقصه إبراهيم عليه السلام مع النمرود

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨

وكما زعم بعضهم أنه بعلوه وملكه في الدنيا أنه إله كما هو حال فرعون

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات: ٢٣ - ٢٤

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ الزخرف: ٥١ – ٥٢

فطهارة النفس من كل من طغي عليها فحكم بغير حكم الله ،
ونزل علي غير شرع الله ، ووالى غير الله
أمر قد أمر الله عز وجل به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١

وتعلقها بالمعبود الواحد الأحد سبحانه فتنصر دينه وتُحكم شرعه وتقيم حدوده وتوالي أوليائه وتثبت وحدانيته وتجاهد في سبيله، فتكسر وثن الحجر وتجاهد وثن البشر، فتلك استقامتها. التي ارتضها الله لها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الزمر: ١٧ - ٢٠

والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله، وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له، لهم البشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والنعيم الدائم في الجنة. فبشِّر -أيها النبي- عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أرشده. وأحسن الكلام وأرشده كلام الله ثم كلام رسوله. أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والسداد، وهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة. هم الذين اتقوا ربهم- بطاعته وإخلاص عبادته- لهم في الجنة غرف مبنية بعضها فوق بعض، تجري مِن تحت أشجارها الأنهار، وعدها الله عباده المتقين وعدًا متحققًا، لا يخلف الله الميعاد.

التفسير الميسر

الله أسأل أن يجعلنا منهم

الأرباب

الأرباب :جمع رِبٌّ

و الرِبُّ: هو السيد المطاع وهو الذي غيروبدل ما أمربه ونهي عنه الله (عز وجل) فأفتي وشرع فأحل الحرام وحرم الحلال وضل العباد فسقطوا في شرك الطاعة.

وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صل الله عليه وسلم، وتقولون : قال أبو بكر وعمر؟! وقال الإمام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: - فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم- ، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي﴿ﷺ﴾ يقرأ هذه الآية:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ التوبة

فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: - أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟- ، فقلت: بلى. قال : - فتلك عبادتهم- رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

فدلت الآية علي أنهم اتخذوا علمائهم وقرائهم وأصحاب الرأي فيهم أربابا سادة لهم يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ،ولم يعتقدون فيهم أنهم آلهة من دون الله ولكنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم فكانت عبادتهم إياهم

والأحبار – هم : علماء اليهود .

والرهبان- هم :عباد النصارى.

فاعلم أن الشرك بالله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عبادات و تشريعات ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهيته

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٣٩ - ٤٠

ءأرباب متفرقون أي : أسياد يشرعون ما ينفعهم دون غيرهم خير أم إله واحد يشرع ما يصلح العباد والبلاد ما تعبدون من دون الله إلا أسماءً جعلتموها أنتم وآباؤكم أربابًا جهلا منكم وضلالا، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها، إن الحكم إلا لله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تنقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده، وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته. التفسير الميسر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك: ١٤

ألا يعلم ربُّ العالمين خَلْقه وشؤونهم، وهو الذي خَلَقهم وأتقن خَلْقَهُمْ وأحسنه؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم. وبما يصلح دينهم ودنياهم.

يفسر الله عزوجل ويبين لنا لماذا كانوا يفتون الناس بغير الحق

ففي سوره (التوبة{٣٤}) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ **التوبة: ٣٤**

فهؤلاء الأحبار والرهبان يجعلون من أنفسهم أسيادا تتبع وتطاع فاتبعوهم فيما يشرعون لهم من المعاملات ومن العبادات وهم فيما يشرعون يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وأكل أموال الناس يتمثل في صورٍ شتى.

منها ما يأخذونه علي فتاوي تحليل الحرام وتحريم الحلال لصالح أصحاب الأموال والسلطان ، ومنهم من يأكلون المال لطمس الحق فأحلوا الربا والتبرج والسفور والزنا والمزامير وقتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق وغير ذلك وحرموا المضاربة والحجاب والعفاف وقد بين الله عزوجل ذلك في عدة آيات في كتابه العزيز الحكيم.

في سوره (البقره{١٠١})

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

وفي سوره (آل عمران{٦٤}،{٧١}،{٧٨}) ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

وفي سوره (النساء {٤٤})

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾

وفي سوره (النحل{١١٦}) :

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

فدلت الآيات السابقة علي أن من هؤلاء الأرباب من يجعل كتاب الله وراء ظهره ويتكلم برأيه ،ومنهم من أطاع واتبع هواه ،ومنهم من خلط الحق بالباطل فدلس علي الناس وكتم الحق المنزل من عند الله ،ومنهم من تكلم بلسانه فأجمل وزين وأوهم الناس أنه من عند الله ،ومنهم من اشتري الضلالة وذهب ليضل الناس بضلاله، ومنهم من افتري علي الله الكذب فأحل الحرام وحرم الحلال ،وخلاصة ذلك أنه اتبع هواه فضل وأضل.

قال تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية: ٢٣

أفرأيت -أيها الرسول- من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَله، وغير شرع ربه من أجله وأضلَّه الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، وختم علي سمعه فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟

أفلا تتذكرون أيها الناس- فتعلموا أنَّ مَن فَعَل الله به ذلك فلن يهتدي أبدًا، ولن يجد لنفسه وليًا مرشدًا؟

والآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أعمالهم.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الفرقان: ٤٣ – ٤٤

انظر- إلى مَن أطاع هواه كطاعة الله، أفأنت تكون عليه حفيظًا حتى تردَّه إلى الإيمان؟ أم تظن أن أكثرهم يسمعون آيات الله سماع تدبر، أو يفهمون ما فيها؟ إن هم إلا كالبهائم في عدم الانتفاع بما يسمعونه، بل هم أضل طريقًا منها. التفسير الميسر

الأنـــداد

أن تطهر النفس من الأنداد المسيطرة علي القلوب

والأنداد مفردها : ند والند هو المثيل والنظير

قال الله تعالي في سوره (البقرة{١٦٥})

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾

وفي سوره (ابراهيم {٣٠})

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾

فبين الله عز وجل أن من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم ويعظمونهم لأنهم مسيطرون علي قلوبهم فلا ينكرون منكرا منهم ولا يأمرون بمعروف فيهم وإن هم أمروهم اتمروا وإن نهوهم انتهوا فهم بعيدون عن هدي الله وهؤلاء قد ضلوا ووقعوا في شرك المحبة لأنهم ساووهم بمحبه الله التي لا يستقيم إسلام المرء إلا بهذه المحبة كما بين النبي﴿ﷺ﴾ من حديث أنس (ﷺ):

{ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان . أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار} .

ونعود للآية فإن الله أخبر أن من أحب من دون الله شيئا. كما يحب الله تعالي . فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهو ند في المحبة أي مثيل ونظير في محبة الله. لا في الخلق والربوبية فإنهم لم يثبتوا لهذا الرب الربوبية.

ولكن اتخذوهم أندادا في المحبة والتعظيم ثم أخبر ﷻ أن الذين ءامنوا أشد حبا لله، من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله.

وأن هؤلاء الذين ساروا ورائهم في جهنم وفي العذاب الأليم يصرخون ويقولون لآلهتهم وأندادهم وهم معهم في العذاب إنكم مجرمون.

كما بين ﷻ حالهم في سورة الشعراء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الشعراء: ٩١ - ١٠٣

ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق أو الربوبية وانما سووهم به في المحبة والتعظيم.

قال ابن عباس في الآية : - الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك- رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: - من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك- رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

وعن حذيفة ﷺ، عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: - لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان - رواه أبو داود بسند صحيح. وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يُكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك ، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

واعلم أن الله تعالي يحب أفعال ولا يحب أفعال فبين ﷻ الأفعال التي لا يحبها حتي يتجنبها العاقل وذكرها الله ﷻ في كتابه العزيز فقال في سورة البقرة{٢٠٥} ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾

وفي سورة لقمان (١٨) ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ وفي سورة آل عمران {١٤٠} ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾

وفي سورة النساء {٣٦}.{١٤٨} ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ ، ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ﴾ .

فتلك الأفعال البغيضة التي نبذها الله ﷻ وكرهها من عباده فهي تفسد الأرض وتنشر البغضاء بين العباد والله ﷻ لا يحب الفساد ولا يحب الظلم ولا التباهي والظهور بين الناس بعضهم ببعض.

فإن هذه الأفعال هي التي كانت سبب في طرد إبليس من رحمه الله لأنه تفاخروتعالي وتباهي علي خلق آدم وهي التي أوردت فرعون اللعنات وأهلكته في الدنيا وجعله الله عزوجل عبرة لمن خلفه وهي التي كانت سبب في خسف قارون في الأرض وهي التي كانت سبب في هلاك الأمم السابقة:

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ غافر: ٣١

وعلي الضد يخبر الله عزوجل عن الأفعال التي يحبها من عباده

فقال في سورة آل عمران {١٣٤_١٤٦} ﴿ والله يحب المحسنين﴾ أحسن إلي مولاه فعبده كأنه يراه فأخلص القول والعمل ، وأحسن إلي الناس فلم يؤذي منه أحد ، فنال محبة الذي أحسن كل شئ

﴿والله يحب الصابرين ﴾

حبس نفسه الهوي وصابر نفسه بكل رضا فصبرها علي الطاعة ، وصبرها عن المعصية ، وصبرها علي القدر، فنال من الإله المحبة

وفي سورة البقرة{٢٢٢}

﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾

ألزم نفسه التوبة ثم التوبة فطهر نفسه من الأثآم ولم يصر علي المعاصي التي تغضب الإله ، وداوم علي طهارة البدن من النجاسات فهو طاهر النفس والبدن فنال محبة التواب .

وفي سورة الصف{٤}

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ تاجر بماله ونفسه ينشر دين ربه يغار علي أن يُعبد في الأرض غيره سبحانه وتعالي يعلم في نفسه أن ما عند ربه خيرٌ من الذي تملكه يداه فنال من صاحب الملك محبته

وفي سورة آل عمران{٧٦} ﴿فإن الله يحب المتقين ﴾ .

فما أعظمها من أعمال وصفات من عباد الله تقربهم إلي مولاهم وتنال منه سبحانه الحب والود والقبول

كما بين لنا النبي ﴿ﷺ﴾ في أحاديث كثيره منها قوله ﴿ﷺ﴾ "أحب الأعمال إلي الله الصلاة علي أول وقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله"

الصلاة علي وقتها براءة من النفاق ، وبر الوالدين علامة علي الوفاء، والجهاد في سبيل الله تجارة لن تبور مع رب السموات"

وقوله ﷺ "أحب الأعمال إلي الله ، الإيمان بالله ثم الجهاد في سبيل الله ثم حج مبرور"

الإيمان بالله حق لله علي العباد ، والحج فيه كل العبادات

وقوله ﷺ "أحب العمل إلي الله ما داوم عليه صاحبه"

التودد إليه بدوام العمل في غير ملل ولا كلل

وقوله ﷺ "إن الله يحب أن يؤخذ برخصه"

هذا من لطف الله علي عبده أن رخص له ما استطاع من أمره

وفي حديث أمير السرية الذي كان يقرأ سوره الإخلاص في كل صلاه فلما سأله الرسول ﷺ قال: " لأنها صفه الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال الرسول ﷺ : أخبروه أن الله يحبه "

وفي جامع الترمذي من حديث أبي ادريس الخولاني

عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال كان دعاء داوود

"اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد "

ومن حديث عبد الله بن يزيد أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه:

"اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغا فيما تحب "

وعن أبي هريره ﷺ قال: قال رسول ﴿ﷺ﴾:

"يقول تعالي من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولإن سألني لأعطينه ولإن استعاذني لأعيذنه "

وعن أبي هريره ﷺ قال قال رسول ﴿ﷺ﴾

" إذا أحب الله العبد دعا جبريل إني أحب عبدي فلان فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء يا أهل السماء إن الله يحب عبده فلان فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض ".

وقال مالك بن دينار رحمه الله {مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ،قيل له وما أطيب ما فيها ،قال محبة الله عزوجل}

ما أعظم هذه الأحاديث وما أعظم محبه الله تجعل الأرواح تتطاير وتجعل القلوب تشتاق إلي بارئها .

فإن العبد يتقرب إلي الله بدقائق معدودة من أعمال الخير. يتقرب إليه الله بأعظم منها وأجلها هي محبته له ويجعل الدنيا كلها والخلق كلهم يحبونه من أجل أن الله يحبه ولكن ليس الحب أقوال كما قال بعض السلف ادعي قوم محبة الله فابتلاهم الله بآية المحبة التي

في سورة (آل عمران{٣١})

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾

فهي اشاره إلي دليل المحبة وثمرتها وهي اتباع الرسول ،والعمل بالكتاب المنزل من ربنا ،فإن لم تحصل المتابعة والعمل فمحبتك له كاذبه.

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله:

{ إذا أحببت أن يدوم الله لك علي ما تحب فدم له علي ما يحب } واعلم أن المحبة لها أربعه علامات .

الأولي {أذله علي المؤمنين} أرقاء رحماء مشفقين بعضهم علي بعض .

الثانية {أشداء علي الكافرين}أسود فرسان أقوياء لا يعطون الدنية في دينهم.

الثالثة: {يجاهدون في سبيل الله } بالنفس والمال واليد واللسان .

الرابعة :{لا يخافون لومه لائم} ولا يخافون في ذات الله أحدًا

وهذه العلامات هي تحقيق دعوي المحبة :التي بينها الله

في سوره (المائدة{٥٤}) :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من الأديان الباطلة، فلن يضرُّوا الله شيئًا بردتهم ولكن هم اللذين خسروا، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُحِبُّهم ويحبونه، رحماء بالمؤمنين أشدَّاء على الكافرين، يجاهدون أعداء الله، ولا يخافون في ذات الله أحدًا. ذلك الإنعام مِن فضل الله يؤتيه من أراد، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه من عباده.

اليأس والجزع

بعد تعلق النفس بخالقها وطهارتها من كل ما يفسد عقيدتها فوجب علينا أن نطهرها و نحررها من اليأس والجزع هذا المرض الذي يصيبها فتفقد الثقة في بارئها وتفقد الأمل في النصر و التمكين.

فمعرفة الحق والصبر عليه هو العلاج الذي يعطي للنفس الآمال والثقة والوقوف أمام الصعاب

ففي سورة يوسف.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧

فهذا نبي الله يعقوب يقول يا أبنائي عودوا إلى "مصر" فاستقصوا أخبار يوسف وأخيه، ولا تقطعوا ثقتكم ولا رجائكم من رحمة الله، إنه لا يقطع الثقة والرجاء من رحمة الله، إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون بقضاء الله سبحانه جل في علاه.

وأعلم أن اليأس والجزع إنما يترتب عليه الضعف والوهن والذل والانكسار وكما بين سبحانه عن حال بني إسرائيل مع نبيهم موسي في سورة الأعراف :﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٨ – ١٢٩

فانظر إلي ما أصابهم من اليأس والجزع مع إنهم معهم نبي هو من أُولي العزم من الرسل وأنه كليم الله عز وجل ومع أنه معه من الآيات والمعجزات التي تعطي لهم الثقة في موعود الله وقد رأوها رأي العين أمنت بها السحرة، وخروا لله سجدا ، أعلنوا إيمانهم أمام مالكهم وملائهم ، لما رأوا آية واحده علموا أن هذا هو الحق وأن الله هو ذو القوة المتين

وإن من خلف هذا الحق إنما هو الباطل والضلال المبين

وبني إسرائيل رأوا من الآيات التي شاهدوها ولمسوها ولكنهم قوم يستعجلون ، تسبب هذا المرض في ذلهم وانكسارهم أمام أعدائهم

لما أمرهم نبيهم بموعد العزة والكرامة والتمكين و استخلافهم في هذه الأرض بعد هذا الظلم والقهر الذي وقع بهم من عدوهم الذي كان يمكر بهم بالليل والنهار وعزلهم عن نسائهم وتقتيل أبنائهم

كما بين سبحانه في سورة المائدة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا

نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

المائدة: ٢٠ – ٢٦

والخلاص من هذا الداء إنما يأتي علي ضده وهو الأمل بالثبات والصبر علي البلاء فلا يقوم الدين إلا علي أكتاف الرجال الذين ثقوا في موعود الله وثبتوا علي دينه وصبروا علي أذي من خالفهم من الكفاروالمشركين وأصحاب الأهواء

ومن أجل ذلك جعل الله التمحيص والإبتلاء سنة في أهل طاعته وأهل محبته من الأنبياء والمرسلين والصالحين

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾

العنكبوت: ١ - ٣

أظَنَّ الناس إذ قالوا: آمنا، أن الله يتركهم بلا ابتلاء ولا اختبار؟

ولقد فتنَّا الذين من قبلهم من الأمم السابقة واختبرناهم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق صدق الصادقين في إيمانهم، وكذب الكاذبين ، فالإختبارليس عن جهله ، سبحانه فإنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لوكان كيف يكون، ؛ ولكان ليميزكلَّ فريق من الآخر.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

العنكبوت: ١٠ - ١١

ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا آذاهم المشركون جزع من عذابهم وأذاهم، كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذيَّة منه،

فارتدَّ عن إيمانه، ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- لأهل الإيمان به ليقولَنَّ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إنَّا كنا معكم -أيها المؤمنون- ننصركم على أعدائكم، أوليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟

وليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، وليعلمنَّ المنافقين؛ وليعلم ويتيقن كل واحد أمام نفسه أنه كان يدعي الإيمان فيسقط هذا الوهم الذي أوهم نفسه أنه شديد الإيمان وأنه أفضل من غيره في هذه الحياة.

وإن من أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل والكل علي حسب دينه كما بين الرسول الصادق المصدوق ﷺ

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه " الحديث وفيه: " حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة"،

وحثنا الله عزوجل علي أن نصبر وأن نترابط وأن نستمسك بهذا المنهج

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠٠

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اصبروا على طاعة ربكم، وعلى ما ينزل بكم من ضر وبلاء، وصابروا وقاوموا أعداءكم حتى لا يكونوا أشد صبرًا منكم، وأقيموا ورابطوا على جهاد عدوي وعدوكم، وخافوا الله في جميع أحوالكم؛ رجاء أن تفوزوا برضاه في الدنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف: ٣٥

أمراً من الحق سبحانه وتعالي أن يصبر أهل الإيمان كما صبر نوح وإبراهيم وموسي وعيسي ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

فهذا نوح عليه السلام أبو البشر الثاني وأول من أوذي في الله وأول من جاهد في الحق وأول من ابتلي في أهله.

بعثه الله تعالي لما عبدت الأصنام والطواغيت وسقط الناس في الضلالة والكفر والشرك وعبادة الأصنام فبعثه الله ليرد الناس إلي المعبود الحق سبحانه عزوجل.

وقد ابتلي نوح عليه السلام في عمره وفي امراته وفي ولده فمكث في قومه تسعمائة وخمسون سنة يدعوهم ليلا ونهارا وسرا وجهرا وبالترغيب تارة وبالترهيب تارة ويمد لهم أيدي الخير والنجاة وهم يمكرون به ليلاً ونهاراً ويؤذونه سراً وجهراً

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ ﴾ نوح: ١ - ٢٠

فتارة يتهمونه بالضلال ،وتارة يكذبونه، وتارة يقولون له إنما إتباعك السفهاء فثبت نوح في دعوته وصبر علي آذاهم وتمسك بدعوة ربه

وجاهد في سبيله بالنفس والمال والأهل حتي جاء حكم الله فيهم

فأوحي إلي نوح أنه لا يؤمن من قومك إلا الذين آمنوا معك

فلا تحزن يا نوح من هؤلاء الفاسدين المشركين بربهم المحاربون لأوليائه فالغرق جزاءهم والعذاب سبيلهم في الدنيا قبل الآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ ﴾ هود: ٢٥ – ٣٦

ثم ابتلاه الله عزوجل في زوجته كفرت بدعوته وكذبته هي وقومها فكانت من الكافرين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ التحريم: ١٠

وابتلاه الله في ولده لما نداه إلي النجاة فرفض وتولي

وإن من أشد الإبتلاء أن يكون عدوك أو خصمك هم أولي القربة منك

فلما استيأس منهم وأعلمه ربه بكفرهم وآيس في إيمانهم دعا ربه بهلاكهم

وقال نوح -عليه السلام- : ربِّ لا تترك من الكافرين بك أحدًا حيًّا على الأرض يدور ويتحرك. إنك إن تتركهم دون هلاك يُضلوا عبادك الذين قد آمنوا بك عن طريق الحق، ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا مائل عن هذا الحق شديد الكفر بك والعصيان لك، ربِّ اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمنًا، وللمؤمنين والمؤمنات بك، ولا تزد الكافرين إلا هلاكًا وخسرانًا في الدنيا والآخرة وهذا الذي بينه الله عزوجل في القرآن الكريم في سورة نوح:

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا

كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ نوح: ٢١ – ٢٨

فاستجاب له ربه فأنزل عليهم العذاب وفتح عليهم أبواب السماء وفجر من تحتهم عيون الأرض فأصبح الموت أمامهم وسفينة النجاة تناديهم

إلا أنهم استحبوا العمي علي الهدي فجعلهم الله عبرة وآية لمن خلفهم

ودليلاً على قدرته سبحانه : لمن بعد نوح ؛ ليعتبروا ويتعظوا بما حلَّ بهذه الأمة التي كفرت بربها، فهل من متعظ يتعظ؟ فكيف كان عذاب ربك والنذر لمن كفر بربه وكذب رسله، ولم يتعظ بما جاءت به الآيات.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾القمر: ٩ - ١٧

وهل جزاء الصبر والإيمان إلا العز والتمكين؟

وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن وصاحب الضيفان وأبو الأنبياء كان أمة قانتا لله حنيفا شاكراً لأنعم الله، كيف كان بلاءه ابتلي في أبيه دعاه إلي الحق بالقول اللين، واللفظ الحسن، واستعطاف القلب، وبألطف

عباره يسمعها الأب من ولده يا أبت، وهذا الأب يغلظ عليه ويتوعده، كما بين سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ مريم: ٤١ - ٤٧

إذ قال لأبيه: يا أبت أي شيء تعبد الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تدفع عنك شيئًا من دون الله؟

يا أبت، إن الله أعطاني من العلم ما لم يعطك، فاقبل مني، واتبعني إلى ما أدعوك إليه، أرشدك إلى الطريق السوي الذي لا تضلُّ فيه. طريق مستقيم ليس فيه اعوجاج

يا أبت، لا تطع الشيطان فتعبد هذه الأصنام؛ إن الشيطان كان للرحمن مخالفًا مستكبرًا عن طاعة الله متوعدا لخلقه

يا أبت، إني أخاف أن تموت على كفرك، فيمَسَّك عذاب من الرحمن، فتكون للشيطان قرينًا في الدنيا

قال أبو إبراهيم لإبنه: أمعرض أنت عن عبادة آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته عن سَبِّها لأقتلنَّك رميًا بالحجارة، واذهب عني فلا تلقاني، ولا تكلمني زمانًا طويلا من الدهر.
قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك مني فلا ينالك مني ما تكره، وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة. إن ربي كان رحيمًا رؤوفًا بحالي يجيبني إذا دعوته .

والابتلاء الثاني، وهو إلقاءه في النار يصبر علي قضاء الله وعلي موعود الله وهو المؤمن الواثق في مولاه حين قالها وهو بين الهواء والنار حسبنا الله ونعم الوكيل فكانت رحمة الله أن قال لها سبحانه يا نار كوني بردا وسلام علي إبراهيم.

ثم الابتلاء الثالث، خروجه من البلد التي نشأ فيها وحيداً طريداً ولكن الله عزوجل مع المتقين وهبه ساره أجمل النساء أمنت به وبدعوته وكانت عونا له علي الخير وعلي طاعة مولاه.
ثم الإبتلاء الرابع، في زوجته اثناء سيره مع زوجته مروا علي قريه بها جبار من الجبابرة فقيل له لقد دخل القرية رجل ومعه امرأة من أحسن الناس فلما أدخلوها عليه أقبلت تتوضأ وتصلي وتنادي ربها ومولاها والمطلع عليها وسامع نجواها التي أمنت به اللهم إني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا علي زوجي فلا تسلط علي الكافر فغط حتي ركض برجله فحفظها الله وعصمها وصانها في عرضها لأن الله عزوجل يدافع عن الذين آمنوا بل وأعطي لهما جارية تخدمهما وهي هاجر.

ثم الابتلاء الخامس، في نسله فكانت امرأته عقيمة لا تلد وأصبح هو شيخ كبير، فأرسل الله ملائكته، وبشروه بأن زوجته "سَارَةَ" ستلد له ولدًا، سيكون

من أهل العلم بالله وبدينه، وهو إسحاق عليه السلام ، فلما سمعت زوجة إبراهيم مقالة هؤلاء الملائكة بالبشارة أقبلت نحوهم في صيحة، وفعلت كما تفعل النساء عند التعجب فلطمت وجهها وقد أصابها الحيض وهي تعجبً من هذا الأمر، وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم لا ألد؟ وهذا زوجي قد بلغ من العمر ما يصعب علي الإنجاب ، قالت لها ملائكة الله: هكذا قال ربك ،يعطي عباده ويجزيهم علي صبرهم وإحسانهم لربهم فهو القادر على ذلك، فلا عجب من قدرته. إنه سبحانه وتعالى هو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، العليم بمصالح عباده.

ثم الابتلاء السادس، الأمر بالهجرة و ترك أمرأته وولده الذي حرم منه سنوات طوال لما ولدت هاجر إسماعيل واشتدت غيرة ساره منها طلبت من إبراهيم أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها حتي وضعهما في مكان لم يسكن من قبل ليس به زرع ولا ماء وهذا أمرا من مولاه وكان إسماعيل ما زال رضيعاً وهي تتعلق بثيابه وتقول يا إبراهيم لمن تدعنا وهو لا يجيب عليها فلما تركها علمت أن الأمر ليس بيده قالت له آلله أمرك بهذا، قال نعم ، فقالت إذاً لن يضيعنا فدعا ربه .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ إبراهيم: ٣٧

ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ ليس فيه زرع ولا ماء بجواربيتك الحرام، ربنا إنني فعلت ذلك بأمرك؛ لكي يؤدوا الصلاة، فاجعل قلوب بعض خلقك تَذهب إليهم وتتعايشُ معهم، وارزقهم في هذا المكان من أنواع الثمار؟ لكي يشكروك على عظيم نعمك. فاستجاب الله دعاءه. فالناس تسعي بسعيها وترتوي بماء بركتها وتشتاق لموضع نزولهما، ووهبه هو وأمرأته التي صبرت علي أمر الله عزوجل الخير الكثر إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم الابتلاء السابع ، البلاء المبين، فبعد ست وثمانين سنه مرة من عمر نبي الله إبراهيم وهو يدعو ربه أن يرزقه الولد وبعدما شب وصار يسعي في المصالح والأعمال رأي إبراهيم في المنام أن الله يأمره بذبح ولده الذي رزقه الله بعد أن كبر وطعن في السن ، بعدما أمره الله أن يسكنه هو وأمه في بلاد فقر وواد ليس به بشرٌ ولا زرع ولا حضر فامتثل أمر الله في ذلك ثقة بالله وتوكل عليه فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ،ثم يأتي أمرُ عظيم يري في المنام أنه يذبح ابنه الذي رُزق به بعد سنوات طوال فما كان منه إلا أن سارع بتنفيذ الأمر فذهب إلي ابنه وأخبره عن هذا الأمر الإلهي .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الصافات: ١٠٠ - ١٠٧

رب أعطني ولدًا صالحًا. فأجبنا له دعوته، وبشَّرناه بغلام حليم، أي: يكون حليمًا في كبره، وهو إسماعيل، فلما كَبِر إسماعيل ومشى مع أبيه قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ {ورؤيا الأنبياء حق} فقال إسماعيل مُرْضيًا ربه، بارًّا بوالده، معينًا له على طاعة الله: أمض فيما أمرك الله به مِن ذبحي، ستجدني إن شاء الله صابرًا طائعًا محتسبًا راضيا ولا أعصي لله أمرا التفسير المختصر

فلما استسلما لأمر الله وانقادا له، وألقى إبراهيم ابنه على جبينه وهو جانب الجبهة على الأرض؛ ليذبحه .جاءت رحمة الله وبركته علي الناس أجمعين وناديناه إبراهيم في تلك الحالة العصيبة: أن يا إبراهيم، قد فعلتَ ما أُمرت به وصَدَّقْتَ رؤياك، إنا كما جزينا ك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا فنخلِّصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة، إن الأمر بذبح ابنك هو الإبتلاء الشاق الذي كملا به صدق إيمانك. واستنقذنا إسماعيل، فجعلنا بديلا عن ذبحه كبشًا عظيمًا. فلما جاهد وصبر في الله أعطاه الله الخير الكثير له ولمن أتبع ملته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧ – ٦٨

فكان البيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل قبلة للمسلمين ومن مقاميه مصلي للمصلين والحجيج تسعي بسعي هاجر ويروي بالماء الذي فجر من تحت قدم إسماعيل ويضحي ويهلل بعيد فدي الله فيه إسماعيل بكبش عظيم .

وهل جزاء الصبر والإيمان إلا العز والتمكين

هذا نبي الله موسي عليه السلام كليم الله وصاحب التسع آيات القوي الأمين حمله البحر إلي بيت فرعون رضيعا ، وحال بينه وبين فرعون وهو شيخا كبيرا بإذن ربه عزوجل.

- كيف كان بلاءه ؟

ابتلاه الله في مولده فحملته أمه خوفا ووضعته خوفا من هذا الجبار فرعون عليه لعنة الله لما رأي فرعون في المنام أن ملكه تأكله نار تخرج من بيت المقدس فجمع الكهنة والسحرة وسألهم عن ذلك فقالوا هذا غلام يولد في بني إسرائيل يكون هلاك عرشك وجندك علي يديه فأصدر أوامره بقتل الغلمان من بني إسرائيل فوضعته علي خوفا من فرعون وملأه فجاءها الأمر الإلهي لا تخافي عليه فإنه بأعيننا فأرضعيه أو ألقيه في اليم فلما القته حمله البحر بإذن ربه إلي بيت عدوه ليعلموا أن الله علي كل شئ قدير ، وكانت عاقبةُ ذلك أن جعله الله له عدوًّا وحزنًا، فكان إهلاكُهم على يداه.

إن فرعون وهامان وأعوانهما كانوا خاطئين لما ظنوا أنهم يقدرون أن يمنعوا أمرا قد قدره الله عزوجل

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ

لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ القصص.

ثم الابتلاء الثاني : في بيت فرعون، دخل بيته فلما رأته زوجته قالت قرة عين لي ولك فقال فرعون: لك أنت أم أنا فلا فأمسك موسي عليه السلام بلحيته يجذبها فقال فرعون هذا الذي كنت أحذر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ القصص: ٩

ثم الابتلاء الثالث: حرم الله عليه المراضع فلم يقبل ثديا ولا يأخذ طعاما واحتاروا في أمره كاد أن يهلك ، وأمه يتقطع قلبها عليه وكادت تظهر أمره بأن تذهب وتسأل عنه جهرة لولا أن صبرها الله عزوجل وأرسلت أخته تبحث عنه وتستعلم من أمره فوجدته مع النسوة يبحثون له عن مرضعة فأسرعت إليهم ناصحة لهم بأن تدلهم علي من يعتني به فذهبوا معها إلي منزل أمها فلما أخذته أخذ ثديها يرضع منه وفرحت النسوة التي كانت معه وذهب البشير إلي آسيا يعلمها بذلك وتحقق وعد الله لأم موسي وذهبت به إلي بيتها بين أحضانها وبين أهليه . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ

إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾القصص: ١٠ – ١٣

ثم الإبتلاء الرابع : في قوته، لما بلغ أشده وقوي بدنه آتاه الله حكما وعلما فذات يوم دخل المدينة ولم يكون فيها أحد إلا رجلين يتصارعان أحدهم من بني إسرائيل والأخر من قوم فرعون فطلب منه الإسرائيلي أن يدافع عنه وأن يحميه من هذا فلما أراد موسي أن يدفعه مات في وقتها ولم يرد موسي قتله فاستغفر ربه وقال إن هذا الفعل من عمل الشيطان ودعا ربه أنه لن يكون ظهيرا للمجرمين وجاءه ذلك الرجل الذي كان يتصارع بالأمس يستغيث به فعنفه موسي علي كثرة شره فظن ذلك الإسرائيلي أن موسي سيقتله فافضح أمره وبلغ فرعون الأمر فأرسل بطلب موسي وأسرع رجلا إلي موسي ناصحا له أن الملاء يريدون أن يقتلوك فخرج من مصر خائفا يترقب الأمر لا يعلم من أمره شيئا إلا أن يدعو ربه أن ينجيه من القوم الظالمين حتي وجد نفسه أمام ماء مدين والناس فيه يسقون إلا امرأتان ينهران غنمهما عن الماء فتعجب من أمريهما وسألهما عن الأمر فأخبراه أنهما لا يستطيعان أن يسقوا إلا بعد أن يذهب الرعاء وذلك لأن أباهما شيخا كبيرا وبعد أن انصرف الناس ذهب موسي ورفع الصخرة وحده وكان لا يرفعها إلا عشرة رجال وسقي لهما ثم ذهبا إلي الظل يدعو ربه ويفتقر نفسه أمام ربه وهو علي هذا الحال جاءته احداهما تمشي علي استحياء تقول له إن أباها يريد أن يعطي له أجر عمله فذهب معها موسي يمشي أمامها وهي توجهه حتي وصلا إلي بيت أبيها وقص عليه أمره مع أهل مصر فأمنه.

وطالبت احداهما أباها أن يستأجره وعرض عليه أن يزوجه احدا ابنتيه علي أن يكون المهر أن يستعمله ثمانية أعوام أو عشرة أعوام وقضي موسي عليه السلام الأجل انظر إلي رحمة الله ولطفه كيف جعل الخائف آمن والمطارد مستقر والوحيد له ونيس إنها حكمة التمحيص .

الابتلاء الخامس: مواجهة فرعون والدعوة إلي توحيد الله عز وجل فلما قضي موسي الأجل أخذ زوجته ذاهبا إلي أرضه بعد عشرة سنين وكانت عقوبة القتل عند أهل مصر تسقط بعد عشر سنوات ولكن موسي عليه السلام قد ضل الطريق بحكمة من الله حتي وجد نار فقال لزوجته أمكثي حتي أذهب إلي هذه النار لعلي أجد علي النار من يهديني إلي الطريق أو آتيكم منها بقبس يضيئ لنا الطريق فوجد عندها الهدي ووجد عندها الضياء ولكن أي هدي وأي ضياء إنه هدي ونور الله عز وجل.

وناداه ربه وعرفه بذاته سبحانه وتعالي أنه هو الله الذي لا إله إلا هو وأنه هو العزيز الذي أعزك في بيت عدوك ، وهو الحكيم الذي أخرجك من بيتك وبلدك لتعود إليها رسولا ونبيا وأن العبادة حق لي فلا تصرفها لغيري وأن الصلاة تقام لذكري والناس تفني والساعة أخفيتها لأقضي بينهم وأجزي كل نفسا بما كانت تعمل فكن علي الهدي ولا تتبع من لا يؤمن بها وكان من أهل الهوي وما تلك بيمينك يا موسي فأجاب موسي هي العصي التي اسير بها واستعملها علي غنمي ولي أشياء أخري أستعملها فيها فأمره الله أن يلقيها فلما ألقاها تحولت إلي حية تسعي فخاف موسي وأسرع بالهرب فناداه ربه أن أقبل ولا تخف إنك يا موسي من الآمنين، وأمره أن يضع يده في جيبيه فخرجت بيضاء ليس فيها برص ولا مرض ، وأن هاتان الآيتان من ربك إلي فرعون وملأه فاذهب إلي فرعون فادعوه إلي الهدي وأن ينتهي عن طغيانه بقومه فطلب موسي من

ربه أن يجعل له وزيرا من أهله وأن يكون هذا الوزير هو هارون أخوه لأنه أفصح منه لسانا بسبب تلك الجمرة التي أخذها وهو صغير وطلب من ربه أن يحلل عقدة واحدة من لسانه لأجل أن يفقه قوله وهذا دأب الصالحين لا يطلبون من الدنيا إلا الذي يعينهم علي أمر الدين.

وأمره ربه أن يذهب ومعه أخاه إلي فرعون وأن يكون كلامه لينا معه فلما دخل علي فرعون عرفه بنفسه تعريفا آخر غير الذي كان يعرفه بالأمس ، أنه أصبح رسول من قبل ربه رب العالمين ودعاه للتوحيد وأن يترك بني إسرائيل يعبدون ربهم فظل فرعون يمنَ عليه بأنه هو الذي رباه وأحسن إليه وأنعم عليه مدة من الدهر وكان شبابه وقوته في بيته ثم أعلمه بما فعله من قتل ، فقال له موسي إنما فعلتها وأنا من الضالين أي لم اتبين الأمر وعلي غير قصد مني تم القتل وهذا الذي تمُن علي لم يكن شيئا بجانب الذي فعلته في بني إسرائيل من إذلالهم وتقتيل أبنائهم.

ثم قال له فرعون وماذا تريد يا موسي قال أن تعبدوا ربكم رب العالمين ، قال: وما رب العالمين؟ قال رب الأولين والأخرين وهو الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء وأن الأرض منها خلقكم وفيها يعيدكم ثم يخرجكم منها فما كان من فرعون أن رماه بالجنون لأن فرعون ظن أنه هو الرب وأن الذي يقوله موسي أمر عجيب فقال له موسي رب المشرق والمغرب إن كنتم تعقلون فهل تسطيع أن تأمر الشمس أن تشرق مكان غربها وأن تغرب مكان شروقها وأراه يداه كيف أصبحت بيضاء وألقي عصاه فتحولت إلي حية عظيمة وبعد هذه الحجج التي تخاطب العقل وتخاطب القلب جحد بها فرعون مع أن نفسه استيقنتها وتجبر وطغي وجمع الناس وقال أنا ربكم الأعلى وأن هذه الأنهار تجري من تحتي وأن الذي يفعله موسي إنما هو

سحر وسنأتيه بسحر مثله فجمع السحرة ووعدهم أن لهم أجر وأنهم من المقربين عنده ودعا الناس أن يأتوا في أول الصباح في يوم عيدهم وتحاورت السحرة مع موسي ودعاهم موسي إلي الإيمان بربهم ووعظهم ألا يفتروا علي الله الكذب بهذا السحر لأن الله سيبطله واختلفوا في أمره فمنهم من قال هذا ليس كلام بشر.

وسألوا موسي أتريد أن تبدأ أنت فقال لهم بل أنتم فألقوا عيصهم وحبالهم فخيل لمن ينظر إليها أنها تسعي وخاف موسي علي الناس أن يفتتنوا بهذا السحروكيف يخاف وهو معه مولاه سبحانه وتعالي فعند ذلك ألقي موسي عصاه وهو يقول ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين فصارت العصي حية عظيمة لها عنق عظيم وشكل مزعج وأقبلت في سرعة تلقف الحبال والعصي التي ألقت من قبل السحرة والناس ينظرون وتحققت السحرة أن هذا ليس بسحرولا بزورولا بهتان ولا ضلال بل هو الحق من عند رب قدير إذا أراد شئ أن يقول له كن فيكون فأنار الله قلوبهم وأزاح الغشوة والغفلة التي كانت عليهم فأنابوا إلي ربهم وخروا له ساجدين فجاء التأييد من رب العالمين لموسي وتحقق لديه قوله عز وجل أنه لا يخاف لدي المرسلون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ

﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ
ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

وبدأ العداء والحرب علي موسي وأهل الإيمان وجاء ت القلوب المريضة أعوان الشياطين التي تقلب الأمور عن حقيقتها وقالوا إن موسي يريد أن يفسد في الأرض ويريد أن يبدل دين أباءنا الأولين فتوعد فرعون موسي ومن معه أنه سيقطع أيدهم وأرجلهم ويصلبهم في جذوع النخل واشتد عذابه بأهل الإيمان ولم تسلم زوجة فرعون من هذا العذاب تفننوا في عذابهم وإذلالهم فقتلوا الأبناء وسجنوا الرجال وكان موسي يصبرهم ويوعدهم أن الغلبة لهم وأن الأرض لله يعطيها من يشاء من عباده ،فلما زاد ضلال فرعون وقومه واشتد عذابهم بأهل الإيمان دعي موسي ربه بأن يريهم شئ من العذاب فأصابهم الله ببعض عذابه (الطوفان والقمل والضفادع والدم والجراد ونقص من الأنفس والثمرات).

ولكنهم أهل كفر وضلال فجمع فرعون جيوشه وذهبوا لملاحقه موسي ومن معه واستقلَهم في عينيه وظن أنه غالب عليهم وأنه صاحب الملك العظيم وأن الأنهار تجري من تحته وأن هؤلاء شرذمة وأن جيشه لن يهزم من هؤلاء ، وقال أصحاب موسي بحساب البشر بعد أن رأوا فرعون من ورائهم والبحر من أمامهم والجبال عن أيمانهم وشمائلهم إنا لمهلكون إما أن يقتلنا فرعون أو يغرقنا الماء فنطق موسي بلسان المعتصم بربه الواثق في وعده نافيا قولهم: كلا إن معي ربي سيهديني وينجيني من القوم الظالمين. فكان النصر من الله والتمكين

لأهل الحق والثبات ((والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).

قَالَ تَعَالَىٰ: وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝٦ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾ إبراهيم ٥ – ٨

الابتلاء السادس: المواجهة مع أهل النفاق وأهل الأهواء، بعد أن نجي الله عزوجل موسي وقومه من فرعون ورأوا ما كان من حال فرعون وجنوده وكيف سلمهم الله عز وجل عزهم وأموالهم وأنفسهم. ومَنَّ علي بني اسرائيل فجعل منهم أنبياء وجعلهم ملوكا بعد ما كانوا عبيدا وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها وآتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين أمر الله عزوجل نبيه موسي عليه السلام أن يذهب بهم إلي بلاد الشام ليفتحوا بيت المقدس فلما مروا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم يعبدونها من دون الله تكلم أصحاب القلوب المريضة التي أعياها النفاق والأهواء فقالوا لنبيهم :

﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ۝١٣٨ ﴾ الأعراف: ١٣٨

فوعظهم نبيهم وذكرهم بنعم الله عليهم وكيف نجاهم الله عزوجل من عدوهم وكيف منَّ عليهم وفضلهم علي العالمين ثم أمرهم بالجهاد ودخول بيت المقدس الذي كتبه الله عليهم ولكن المرض انتشر فاستحبوا الحياه الدنيا علي الآخرة فتركوا أمر الله وعصوا رسوله وتفننوا في معصيه رسولهم بشتي الطرق، فقالوا إن فيها قوما جبارين وأصروا ألا يدخلوها حتي يخرجوا منها بل تطاولوا علي نبيهم وعلي ربهم وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا ونحن قاعدون ننتظركم حتي تعودوا إلينا ولم يبقي إلا موسي وأخوه هارون ومؤمن آل فرعون الرجل الناصح لموسي الذي جاء من أقصي المدينة يسعي ، ومع ذلك أتم الله إنعامه عليهم وإحسانه إليهم ويسر لهم طعامين شهيين بدون تعب ولا سعي (المن والسلوي) وفجر الحجارة اثني عشر عينا لكل ست منهم ، وظلل عليهم الغمام تحميهم من الحر فما رعوها حق رعايتها وما قاموا بشكرها بل ذهبوا لنبيهم وقالوا لن نصبر علي طعام واحد ويطلبون الأدنى من الخير العظيم الذي أنزله الله إليهم فلما ذهب موسي لميقات ربه وصعد جبل الطور يناجي ربه فما كان من قومه إلا أن صنعوا عجلا من ذهب فعبدوها من دون الله وافتروا علي نبيهم الكذب وقالوا هذا إلهكم وإله موسي مع أنه لا يتكلم ولا يملك ضرا ولا نفعا ولا يهدي إلي رشد. ولما رجع موسي عليه السلام إليهم ورأي ما هم عليه من عباده العجل غضب وألقي الألواح من شده الغضب ثم بعد ذلك جاءت قصه البقرة فهذا قتيل قد ظهر فيهم فجاءوا لنبي الله موسي يسألونه عن أخبار القتيل ومن قتله فأوحي الله إليه أن أمرهم أن يذبحوا بقره فتهاونوا بأمر نبيهم فقالوا نحن نسألك عن قتيل وتأمرنا بذبح بقره فأخبرهم أن هذا الذي قد أوحي الله به إليَّ ، وأمرهم أن يفعلوا ما أمر الله به ولو أنهم استجابوا للأمر وذبحوا أي بقره لقضي الأمر ولكنهم بمرض قلوبهم سألوا عن أوصاف البقرة فشاقوا علي أنفسهم فشق الله عليهم، ثم آذوا موسي عليه السلام بلسانهم وكان موسي

يسترمن عيون البشر أثناء استحمامه فقالوا إنما يسترمن عيب بجلده فبرأه الله عزوجل ومنَّ الله عزوجل عليه بأن جعله مخلصا ورسولا نبيا واصطفاه علي الناس برسالته وبكلامه وجعل أخاه هارون وزيرا ونبيا وآتاه الكتاب تماما علي الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدي ورحمه .

وهل جزاء الصبروالإيمان إلا العزوالتمكين؟

وهذا نبي الله عيسي ابتلاه الله في نسبه يوم مولده يوم حملته أمه إلي قومها فتكلم أهل الإفك والبهتان وأنكروا آية الله عزوجل فيه وقالوا ولد زنا فبرأه مولاه وجعل فيه آية ورحمه فتكلم في مهديه فأثبت عبوديته لله ورسالته أنه متمم للتوراة ونسبه إلي أم دون أب كما خلق آدم بدون أم ولا أب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾

جعله الله عزوجل كلمة منه ونفخ فيه من روحه وجعله وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين واختلفت أحزاب هذا الزمان فيه فمنهم من قال ولد زنا وكفروا برسالته ، ومنهم من قال ابن الله ، ومنهم من قال هو الله ، ومن أهل

الإيمان الذين قالوا هو عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلي مريم أمه ورح منه سبحانه وتعالى.

الابتلاء في الدعوة إذ كذب به أهل الكتاب وهو الذي مكتوبا عندهم في التوراة فأعطاه الله الآيات التي تؤيده ويعجز عنها الذين كفروا به ومن هذه الآيات النفخ في الطين أي يصوره ويشكله ثم ينفخ فيه بإذن ربه ويبرئ الأكمه وهو الذي يولد أعمي والأبرص ويخرج الموتى بإذن الله وهم الذين قد ماتوا و دفنوا في القبور وبعد هذه الآيات وإقامة الحجج والبراهين ظل أكثرهم علي كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم وتربصوا بعبد الله ونبيه ومكروا به ولكن كيف بعبد الله مولاه فلما أرادوا صلبه وقتله أنقذه الله منهم وأوقع الشبه علي غيره ثم رفعه إليه وأيده بنصره وحماه من عدوه والله ينصر ويعز أهل طاعته والله غلب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وهل جزاء الصبر والإيمان إلا العز والتمكين؟

وهذا خاتم الأنبياء والمرسلين وأمام الأولين والأخرين

ابتلاه الله قبل مولده بوفاة أبيه فولد يتيما فأواه ربه وعطَف عليه القلوب فأم أيمن تحضنه وحليمه التي سعدت به ترضعه وإلي دارها تحمله أربعة أعوام ثم يعود إلي أمه بعد شق صدره وخروج حظ الشيطان منه ثم في السادسة من عمره تموت أمه أمنة بنت وهب ثم يرعاه جده لأبيه وفي الثامنة من عمره يموت الجد ثم يرعاه عمه أبو طالب ثم أذن ربه أن يشرح صدره للهدى بعد أن ضل عن عقائد قوم يسجدون لألهة من حجر وعجوة يعبدونها ويسمونها بأسماء من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان.

وأتي شهر رمضان وهو في عزلته في غار حراء من بعد أربعين مضت من عمره(ﷺ) حُبب إليه الخلاء بعد الرؤي الصادقة التي كان يراها مثل فلق الصبح نزل ملك الوحي وأمين السماء بتلك الآيات التي غيرت الدنيا بأسرها وبتلك الضمة التي ضمها أمين الوحي لمبلغ الوحي (ﷺ).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ **العلق: ١ – ٥**

وهو في طريقه إلي بيته ما من حجر ولا شجر إلا وقال له السلام عليك يا رسول الله فأسرع النبي إلي بيته يبحث عن تخفيف روعه وهو يقول زملوني، زملوني والزوجة الصالحة تحضنه وتقول له بعد أن أخبرها الخبر وما كان من أمره في الغار: {والله ما يخزيك الله أبدا ،إنك لتصل الرحم ،وتحمل الكل ،وتكسب المعدوم ،وتقري الضيف ،وتعين علي نوائب الحق}

ما أعظم هذه الزوجة تأمن وتزكي وتداوي فهي من أكمل النساء خلقا وعقلا ﷺ ثم أخدته إلي ابن عمها ورقه بن نوفل وهو الذي كان علي علم من الكتابين التوراة والإنجيل فلما قص عليه الخبر قال ورقه هذا الناموس الذي نزل علي موسي ثم رجع رسول الله ﴿ﷺ﴾ مطمئنا ثم بعد فترة جاءه جبريل وهو يخبره بأول أوامر الإسلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ المدثر: ١ - ٧

أمره سبحانه بأن ينذر هؤلاء القوم الذين اتخذوا من دون الله أوثان بعقاب أليم وأن هناك نارتلظي لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولي وأن الله هو الكبير المتعال له الكبرياء في السموات والأرض وأن يطهر بدنه ونفسه طهارة ظاهر وباطنه من جميع شوائب الدنيا ولا يستكثر عبادة ولا عمل لأن الله عز وجل هو صاحب المنن ثم الحث علي الثبات علي هذا الأمر لأن صاحب الحق لا بد أن يكون له أعداء من شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلي بعض للصد عن هذا الحق ومحارب أهله، وظل الأمر سرا ثلاثة سنوات فأول من آمن به أصدق الرجال أبو بكر الصديق، وأوفي النساء خديجه بنت خويلد، وأشجع الصبيان علي بن أبي طالب، وأصفي الموالي زيد بن حارثه رضي الله عنهم السابقين الأولين ثم أسلم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحه بن عبيد الله وبلال بن رباح ثم جاء الأمر بالصلاة التي تصل القلب بخالقه وكانت ركعتين قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

وبعدها جاء الأمر بإظهار الدعوة جهرا فوقف النبي علي جبل الصفا وهو ينادي علي أهل مكة حتي جاءوا جميعا وهم يعلمون من هو محمد فقد كان فيهم صاحب المروءة وأحسنهم أخلاقا وأعزهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعفهم نفسا وأكرمهم خيرا وأوفاهم عهدا وأمانه حتي سماه قومه الصادق الأمين فوقفوا جميعا فقال لهم ﴿ﷺ﴾ أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب وكان أول من تكلم تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت {تب يدا أبي لهب وتب }.

فبدأت العداوة والبغضاء بين أهل الشرك وأهل الإيمان وبدأت بذور الرجال تتجلى وقوة الإيمان تضرب أروع الأمثال في الثبات فهذا أطهر خلق الله يضع أشقى خلق الله فوق ظهره سلا جزور وبدأت السخرية والإستهزاء والتكذيب وكان عمه أبو لهب يمشى خلفه في الأسواق والنبي يدعو الناس للهدى وهو يقول لا تصدقه إنه كاذب ولم تقل زوجته عداء منه فأجبرا عتبه وعتيبة ابني أبا لهب من تطليق رقيه وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﴿ﷺ﴾

وذهب وفدا من قريش إلي عمه أبو طالب يقولون له إن ابن أخيك سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما تخلي بيننا وبينه فإنك علي مثل مانحن عليه فردهم أبو طالب وقال لهم لن أسلمه لكم ما دمت حيا ومضوا في تكذيب الرسول وقالوا لمن قدم لموسم الحج لا تسمعوا له فإنه ساحر ولم يجدوا حلا إلا أن يمكروا بأهل هذا الدين فلقي بلال من أُبي بن خلف أصنافا من العذاب فأنساه تعلق الإسلام في قلبه ما يتعذب به بدنه وظل ينشد أحدٌ أحدٌ فردٌ صمد والسواط علي ظهره حتي أرهق من بيده السوط، والصبان تربطه بالحبال وتلعب به في شوارع مكة {ﷺ} .

وأشتد بآل ياسر عمار وياسر وسميه جميع أصناف العذاب والنبي يمر عليهم وهو يبشرهم ويصبرهم صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة فقتل ياسر وسميه أمام ولدهما، وأشتد العذاب بخباب بن الأرت فكان يوضع علي الحطب الملتهبة وفوقه حجر عظيم حتي لا يستطيع أن يحرك بدنه، ولم يستطيعوا أن يزحزحوا الإيمان من قلبه {ﷺ} .

ثم اتخذا النبي(ﷺ) دار الأرقم يلتقي فيها من أراد أن يدخل الإسلام حتي يأمن عليهم من العذاب ثم يأمر النبي أصحابه بالهجرة إلي أرض الحبشة في السنه الخامسة من البعثة وأخبرهم أن فيها ملك عادل لا يظلم عنده أحد وكان عددهم اثني عشر رجل وأربع نسوه وفي نفس السنه قرأ النبي بلسانه وقلبه (ﷺ) سورة النجم والكل يسمع من مبلغ الوحي بما فيهم ساداتهم وكبراؤهم فلم تملك هذه القلوب إلا أن تسمع كلام ربها التي فطرها علي طاعته والأعجب من ذلك عندما سجد رسول الله عند قوله تعالى ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ﴾ النجم: ٦٢

خروا لله ساجدين ومع هذا اشتد علي المسلمين البلاء والعذاب لما علمت قريش ما فعله النجاشي من حسن جوار من هاجر إليه ومن جانب آخر أرسلت قريش أدهي رجالها عمرو بن العاص إلي النجاشي ليطرد هؤلاء وقال له إن هؤلاء سفهاء فارقوا دين آبائهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وظل يتكلم عمرو ولكن الملك العادل قال لا بد أن نسمع من الجميع حتي يتبين لنا الأمر فأرسل إلي المسلمين ودعاهم إليه فسألهم عن هذا الدين وسألهم عن عيسي فقال جعفر نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ﷺ) هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلي مريم فعلم أن هذا الدين إنما هو من عند الله فأمنهم.

وفي السنه السادسة حدث أمرين عظيمين اعترض أبا جهل رسول الله (ﷺ) عند جبل الصفا فآذاه وشتمه ونال منه رسول الله (ﷺ) ما يكره من العيب في دينه فما كان رسول الله (ﷺ) أن يغضب لنفسه فلما علم عمه حمزه بن عبد المطلب ذلك أسرع إليه وأمسك بأبي جهل ثم ضربه بالقوس ضربة شج رأسه بها فأسلم حمزه حميه ثم دب الإسلام في قلبه وحسن إسلامه{ ﷺ} وبعدها بثلاثة أيام حدث الأمر الثاني وهو إسلام عمر بن الخطاب وكان من أشد الأعداء لهذا الدين وفرح وعز أهل الإيمان وخرجا هو وحمزة ومعهما رسول الله(ﷺ) وجمع من المسلمين فطافوا وصلوا عند الكعبة التي حرموا منها منذ إسلامهم ، واشتد غيظ المشركين واتخذوا سبيلا آخر غير التعذيب والتنكيل بالمسلمين عندما وجدوا فيهم العزيمة والتضحية والرجولة في سبيل هذا الدين الذي وافق فطرتهم السليمة فذهبوا إلي أبو طالب بأشد العبارات فتحملوا عليه فذهب إلي ابن أخيه محمد (ﷺ) فقال له يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فابق علي وعلي نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فقال رسول الله (ﷺ) قول الواثق في ربه الثابت علي دينه العزيز بهذا الدين: {والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علي أن أترك هذا الأمر حتي يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته }

فقال أبو طالب اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لأحد منهم أبدا ،وعند السنة السابعة لم تجد قريش حلا مع هذا الثبات والقوة الإيمانية والفدائية العظيمة والتضحية المثلي إلا أن تبتدع أمرا لم تعهده العرب من قبل {المقاطعة العامة} ، أجتمع أهل الشرك من قريش وتحالفوا علي بني هاشم وبني المطلب وقاموا بكتابة صحيفة فيها عهود ومواثيق بمقاطعة بني هاشم وبني المطلب مؤمنهم وكافرهم أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم ،ولا يخالطوهم ،وأن لا يقبلوا منهم صلحا أبدا

ولا تأخذهم بهم رأفة حتي يسلموه للقتل وحبسوا جميعا في شعب أبي طالب وظلت المقاطعة ثلاثة أعوام واشتد الحصار حتي أكلوا ورق الشجر والجلود وكان يسمع من وراء الشعب أصوات النساء والأطفال يصرخون من الجوع فكان لا يصل إليهم الطعام إلا سرا ولا يستطيعون النزول إلي مكة إلا في الأشهر الحرم وكان أهل مكة يرفعون ثمن السلع حتي لا يستطيعون أن يشتروها وظل هذا الحصار الذي لا يتخلق بأدن شئ من الإنسانية ثلاثة سنوات صبر فيها أهل الإيمان لم يجزعوا ولم يقنتوا من رحمة الله ولم يصبهم الريب في موعود الله عزوجل بل صبروا وصابروا حتي شاء الله عزوجل ملك القلوب أن يحرك النخوة والشهامة والمروءة في قلوب بعض رجال قريش كأبي البختري بن هشام والمطعم بن عدي وغيرهم ممن رأوا ما يعانيه بنو هاشم عامه والمسلمين خاصة من هذه المقاطعة الظالمة القاسية فهموا في نقضها ووضع حدا لها فجاء الفرج وخرج النبي وأصحابه وبني هاشم من هذا الحصار واستأنف النبي ﴿ﷺ﴾ دعوته ورسالته التي كلفه الله بها واستبشر المسلمون خيرا وظنوا أنهم سيمارسون حياة طبيعة يعبدون ربهم ويطفون ببيته دون عذاب ولا خوف ولكن ما زال الاختبار والتمحيص.

فجاء ت السنه العاشرة بعد الحصار فكانت أشد السنوات التي مرت علي رسول الله ﴿ﷺ﴾ فمات المانع الحصين المساند في دعوته عمه أبو طالب وماتت الصدر الحنون الزوجة المعينة المؤمنة الصبورة خديجة وحزن رسول الله ﴿ﷺ﴾ حزنا شديدا حتي سميه هذا العام بعام الحزن ولكن المؤمن يحزن ولا يجزع ولم يضعف ولم تنكسر له عزيمه بل ظل مبلغ وداعي وواثق بربه حتي ولو كان لوحده أمة.

ثم أتت الشدائد فخرج من مكة إلي الطائف يبحث عن دار للإسلام ولأهل الإيمان ولعرض دعوته التي أرسل بها ولكن رفضت ثقيف أن يكونوا أهلا لهذا الأمر{ وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده }ولم يكتفوا بإعراضهم علي رسول الله ﴿ﷺ﴾ فسبوه وأهانوه وسلطوا أشقه الناس من السفهاء والصبيان فضربوه بالحجارة فتألم ﴿ﷺ﴾ أشد الألم ورفع يده الشريفة الطاهرة إلي ربها وهو يناجه : {اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني علي الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلي من تكلني إلي بعيد يتجهمني أم إلي عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخر أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتي ترضي ولا حول ولا قوة إلا بك} .

ما أعظمها من كلمات لم يدعوا علي قوم ولا فرد ولم يتهم أحد إلا نفسه ﴿ﷺ﴾ وهو الذي لم يقصر في دعوته ولا في رسالته يشكو ضعف القوة بعد موت عمه وقلة الحيلة بعد موت زوجته وهوانيه علي الناس بعد موتهما اعترافا بحقهم في نصرته، ثم يتهم نفسه بالتقصير ويستعيذ بربه أن يغضب عليه بذلك التقصير في دعوته وهو الذي كان يدعو ليلا ونهارا وسرا وجهرا وأوذي في سبيل دعوته ولكن المؤمن في موضع اتهام أمام نفسه حتي يلقي ربه ثم يعطي لربه كل الرضي حتي يرضي سبحانه، ثم يخلع نفسه من الحول والقوة إلي حول الله وقوته، ثم ينزل الروح الأمين علي الصادق الأمين يبلغه السلام من ربه السميع العليم وقد أرسل معه ملك الجبال يا رسول الله أمرك مطاع {ان شئت أطبق عليهم الأخشبين} ولكن الرحمة المهداة والقلب الرؤوف والداعي الذي يريد النجاة ، والمصلح الذي يريد الصلاح ، لا ينتقم لنفسه بل حريص علي الخير للناس أجمعين.

قال (ﷺ) : {بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا } بل فوق هذا توجه إلي الله يدعو لهم حتي لا يصبهم أذي من الله مما فعلوه برسوله فقال داعٍ ربه {اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون}

صل الله عليك يا خير خلق الله و يا خير داع لله ولم يستطيع أن يدخل أرضه وأرض أجداده وأحب البلاد إليه إلا في منعة فأجاره المطعم بن عدي ودخل به مكة، ثم صرف الله إليه نفرا من الجن يستمعون القرآن وهو يصلي بأصحابه الصبح ليقول له ربه أنت تدعو وربك يهدي.

ثم جاءت المنحة بعد المحنة فبعد موت الأحباب وعناد الأعداء والصبر علي الأذى ليل، نهار أراد الكبير المتعال أن يأخذ نبيه وحبيبه ليري مكانه وسط الأنبياء ثم يرفعه ليري منزلته عند ملائكة الرحمن فكانت الإسراء والمعراج منحة من الرحمن وعزة لرسول الله ورفعة لأهل الإيمان ثم يأتي العام الثالث عشر من البعثة يؤذن له بالهجرة إلي أرض يثرب التي نورت برسول الله فأصبح للإسلام دولة وجاءت الغزوات والفتحات وعز الله أهل الحق والإيمان ونصر دينه ودعوة مصطفاه ومكن لهم في الأرض ولم يري ياسر ولا سمية ولا خديجة ولا أهل الإيمان الذين ماتوا من قبل وأذوا في سبيل الله هذا التمكين ولكن ما أعده الله لهم في جنة عرضها السموات والأرض هو خيرا و أعظم أجراُ وأن سلعة الله غالية وأن الأمانة لا يحملها إلا الرجال وأن العقيدة لا تتحقق إلا مع الابتلاء ليعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح

هو الذي أرسل رسوله بالبيان الواضح ودين الإسلام؛ ليُعْليه على الملل كلها، وكفي بالله شاهدًا على أنه ناصرك ومظهر دينك على كل دين. محمد رسول الله، والذين معه على دينه، أشداء على الكفار، رحماء فيما بينهم، تراهم ركعًا سُجَّدًا لله في صلاتهم، يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم في التوراة. وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائمًا على سيقانه جميلا منظره، يعجب الزُّرَّاع؛ ليَغِيظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار. وفي هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة -رضي الله عنهم- ؛ لأن الله عز وجل اصطفي محمد(ﷺ) واصطفي لمحمد (ﷺ) أصحابه فهو سبحانه وتعالي هو الذي أختاروطهرواصطفي فمن سبهم فهو طاعن في اختيار الله لهم وقد وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلا لا ينقطع، وهو الجنة. وهل جزاء الصبر والإيمان إلا العز والتمكين أسأل الله أن يجعلنا علي هدي رسوله(ﷺ)

الفرقة والتحزب

بعد تعلق النفس بخالقها وطهارتها من كل ما يفسد عقيدتها وتحررها من اليأس والجزع الذي يضعف رايتها فلا بد من معين علي الطريق ولا يأتي هذا إلا بترك الخلافات والمنازعات والخصومات والالتفاف حول كلمة تجمعنا تجعلنا أشداء علي الكفاررحماء فيما بيننا نعجب بها الزراع ونغيظ بها الكفار الذين يتربصون بنا ليلا ونهارا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح

إن أعدائنا علموا أن قوتنا في اتحادنا وفي اعتصامنا فأخمدوا سيوفهم واجتهدوا وتفننون في تمزق وكسر شوكة الأمة بعدما علموا أن الإعتصام سبب في تأليف القلوب وفي توحيد الصفوف وهو سبب النجاة من المهالك ومانع حصين ضد الأعداء المتربصين بهذه الأمة ، وعز وفخر لدولة الإسلام التي أساسها العلم والترابط والتراحم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٣

وتمسَّكوا جميعًا بكتاب ربكم وهدي نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم. واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم: إذ كنتم -أيها المؤمنون- قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله، وألقى في قلوبكم محبة بعضكم لبعض، فأصبحتم -بفضله- إخوانا متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام ونجَّاكم من النار. وكما بيَّن الله لكم معالم الإيمان الصحيح فكذلك يبيّن لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها، فلا تضلوا عنها. التفسير الميسر

وهي سبب أيضا في التعاون والدعوة إلي الخير والإصلاح كما بين سبحانه

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤

ولتكن منكم جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف، والمعروف هو ما عُرف حسنه شرعًا وعقلا ، وتنهى عن المنكر، والمنكر وهو ما عُرف قبحه شرعًا وعقلا ، وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم ، الذين إذا اعتصموا تعاونوا وإذا تعاونوا دعوا وإذا دعوا عم الأمن وكان الصلاح والإصلاح وانتشر الخير وحكم فيهم الشرع ، وحذرنا سبحانه من التفرق لأن التفرق سبب الهلاك والاختلاف والبعد عن شرع الله عزوجل كما بين سبحانه :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ آل عمران:

ولا تكونوا كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرَّقوا شيعًا وأحزابًا، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذابٍ عظيم، لأنهم فرقوا فاختلفوا فحكموا أهوائهم فضاعت الحقوق بينهم وضعيفة قوتهم أمام عدوهم، فلما علم أعداءنا أن قوتنا في اعتصامنا وأن اعتصامنا يرعي لنا أمننا ويحفظ حياتنا لأن المسلمون كالجسد الواحد إذا تألم بعضه سهر كله

كما أخبر ﴿ﷺ﴾ في حديث النعمان بن بشر : {مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكي منه عضو تدعي له سائر الجسد بالسهر والحمي }

فذهبوا وتجمعوا وتكالبوا علي تفرق الأمه إلي دول ، ثم إلي بلاد ، ثم إلي أحزاب، ثم إلي جماعات ، ثم إلي عصابات وحركات ، ونجحوا في ذلك بعدما فشلوا في المعارك والحروب.

وكان نهج الرسول ﴿ﷺ﴾ بعدما تعلقت القلوب بربها وثبتت علي منهجه أخذ بأيديهم فألف الله به قلوبهم فأصبحوا في دين الله اخوانا

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنفال: ٦٣

وأرشدهم النبي ﴿ﷺ﴾ أن المسلم أخو المسلم لا ينقص من حقه شيء ولا يخونه ولا يسلمه إلي من يكيد به كما أوضح النبي ﴿ﷺ﴾ في حديث أبو هريرة {المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم علي المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوي ههنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم }

وعلمنا النبي(ﷺ) أن الرحمة بينهم في المعاملة سبب في رحمة الله لهم فمن حديث جرير بن عبد الله عن النبي(ﷺ) قال: {من لا يرحم الناس لا يرحمه الله}

وعلمنا أن الرحمة بينهم حتي في العبادات كما في حديث أبو هريرة عن النبي(ﷺ) قال {إذا صلي أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلي أحدكم لنفسه فلطول ما شاء}

وعرف النبي(ﷺ) المسلم بمن يسلم الناس منه – فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال-(ﷺ)

{المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه}.

قال سفيان بن حسين الواسطي: { ذكرت رجلا بسوء عند إياس بن معاوية المزني قاضي البصري ،فنظر في وجهي ، وقال أغزوت الروم ، قلت لا. قال السند والهند ، قلت لا . قال سلم منك الروم وسلم منك السند والهند ولم يسلم منك أخوك المسلم }

وتوعد الله عزوجل لمن يؤذي المؤمنين فقال (سبحانه وتعالي)

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينا﴿٥٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٨

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب عملوه، فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، يستحقون به العذاب في الآخرة إذ الطعن في المؤمنين والمؤمنات المتمسكين بشرع ربهم القائمين علي منهجه إنما هو طعن في دينهم وشرعهم من أجل أن يضعفوا هذه الأمه فيطعنوا في رموزهم ليفقدوا الناس الثقة فيهم ويتفرقوا من حولهم وهذا هو مكرهم

الحث علي التآخي

حثنا الله عز وجل علي التآخي فقال _سبحانه وتعالي : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات : ١٠

إنما المؤمنون إخوة في الدين، فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلوا أو تخاصموا وخافوا الله ربكم في جميع أموركم؛ رجاء أن تُرحموا.

وبين الله عزوجل أن التآخي علامة من علامات الثبات علي الدين يكلمهم الله عز وجل ويخاطبهم بأسلوب النداء يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من الأديان والمعتقدات الباطلة فلن يضرُّوا الله شيئًا، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُحِبُّهم ويحبونه، إخوانا رحماء بالمؤمنين أقوياء بإعتصامهم بربهم وببعضهم البعض ، أشدَّاء على الكافرين، يجاهدون أعداء الله، بقوة وثبات بوحدتهم لا يخافون في ذات الله أحدًا. ذلك الإنعام إنما هو مِن فضل الله يؤتيه من أراد، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه من عباده. *كما بين* سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

وأخبر عن الولاية لله والرسول والمؤمنين الذين يحافظون على الصلاة المفروضة، ويؤدون الزكاة عن رضا نفس، وهم خاضعون لله. أولياء بعضهم لبعض وصفهم بذلك سبحانه:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

وجعلهم من حزبه وأن حزبه جل وعلا لا يغلب أبدا ومن وثق بالله وتولَّى الله ورسوله والمؤمنين، فهو من حزب الله القائمين علي طاعة الله ومحبة رسوله ﴿ﷺ﴾ ومحبة أصحاب رسوله لا ينقصون من قدرهم شئ ، وحزب الله هم الغالبون المنتصرون .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ المائدة: ٥٦

التآخي ايثار وفداء

إن من أسمي ما جاءت به تعاليم الإسلام أن الحب في الله يجعل المسلم يحب لأخيه كما يحب لنفسه وأن يؤثره علي نفسه وأن يفتديه بدمه وماله وكما ورد في السيرة أن الجيل الأول كان الأخ يجوع في سبيل أن يشبع مسلم آخر ويعطش أحيانا بل ربما عرض نفسه للموت في سبيل أن يفتدي مسلم آخر ولا عجب في ذلك فإن المسلم قد تعلم أن العطاء أفضل من الأخذ وأن ما عند الله أفضل وأعظم وأن ما يفعله من خير هو عند الله خير وأعظم أجرا وكيف لا يؤثر وقد علم أن المؤثر عند الله ممدوح فيما أثر، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المزمل: ٢٠

ومن النماذج التي وردت لنا في السيرة النبوية عن أخبار أصحاب النبي ﴿ﷺ﴾ الذين تربوا وفهموا معني الإيثار والتضحية فهذا سعد بن ربيعة ﷺ وهو الذي آخي النبي ﴿ﷺ﴾ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ﷺ فعرض سعد عليه نصف ماله واحدي زوجاته أن يطلقها حتي إذا انقضت عدتها تزوجها فلم يكن من عبد الرحمن إلا أن دعا له بالبركة في المال والأهل وسأله أن يدله علي السوق ما هذا الذي نقرأ ونسمع إنه الإيمان والروح التي تغذت بمعاني الإسلام فكان الإيثار والتكافل الإجتماعي والعطاء{ ولم ولن تجد ذلك إلا تحت راية الاسلام}.

إنه التأخي يقدم نفسه للموت في سبيل إحياء غيره ، بعدما اجتمعت قريش وقرروا أن يقتلوا رسول الله في بيته ضربة رجل واحد تقدم علي ﷺ وهو الصبي صغير السن ليكون نموذج في التضحية والفداء، فما أعظم هذا الدين الذي جعلا الجسد جسد واحد والقلوب تتسابق إلي توحيد الصف

أن يجوع في سبيل أن يشبع أخ له فهذا رسول الله (ﷺ) ينزل عليه ضيف فلم يجد عند بيوت زوجاته ما يضيفه به فينادي في أصحابه من يضيف ضيف رسول الله فأخذه رجل من الأنصار وذهب به إلي أهله فقال لزوجته معي ضيف رسول الله فقالت له الزوجة ليس في بيتنا ما يكفي إلا طعام أولادنا قال لها ضعي الطعام أمام الضيف ثم أطفئي المصباح ونتصنع أننا نأكل حتي يشبع الضيف ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصه فلما رآه رسول الله قال له إن الله عزوجل قد عجب من صنيعكما بضيفكما .

التآخي حفظ الحقوق والواجبات

لما عين أبو بكر ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ قاضيا علي المدينة فمكث عام كامل لم يفتح جلسه ولم يختصم إليه اثنان فذهب إلي أبوبكر ﷺ فطلب منه اعفاءه من القضاء فقال له أمن مشقة القضاء يا عمر تطلب الإعفاء قال له لا ولكن لا حاجة لي عند قوم مؤمنين عرف كل واحد منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه وما عليه من واجب فلم يقصر في أداءه أحب كلا منهم لأخيه ما يحبه لنفسه إذا غاب أحدهم تفقدوه وإذا مرض عادوه وإذا افتقر أعانوه وإذا احتاج ساعدوه وإذا أصيب واسوه ، دينهم النصيحة وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففيما يختصمون ،ما أعظمها من صفات لأمة أقرأ أمة الخيرية أمة الاعتصام.

التأخي الستر والحفظ

أمرنا رسول الله ﷺ أن نحافظ علي المجتمع المسلم وأن يقوم أفراده علي التناصح فيما بينهم والستر علي ذلك ففي حديث أبو هريره ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ {لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة}

عن أنس ﷺ :قال رسول الله ﷺ { أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره}.

والأعجب من هذا أننا في كتب العبادات في حديث المسيء صلاته لم يخلو كتاب من ذكره إلا أنهم لم يذكروا من هو صاحب الصلاة سترا عليه .

التآخي اعتصام ورباط

ومن أجل نعم الله علينا التي جعلت من سيمات هذا الدين الاعتصام والرباط بين الأمة المسلمة والنهي عن التحزب والفرقة لأن هذا الدين لا يقوم إلا بالاتحاد فأخبر سبحانه وتعالي عن هذا في عدت آيات فقال:

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ الحج: ٧٨

وجاهدوا بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم، مخلصين فيه النية لله عز وجل، مسلمين له قلوبكم وجوارحكم، هو اصطفاكم لحمل هذا الدين، وقد منَّ عليكم بأن جعل شريعتكم سمحة، ليس فيها تضييق ولا تشديد في تكاليفها وأحكامها، كما كان في بعض الأمم قبلكم، هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم، وقد سَمَّاكم الله المسلمين مِن قبلُ في الكتب المنزلة السابقة، وفي هذا القرآن، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار ؛ ليكون خاتم الرسل محمد ﷺ شاهدًا عليكم بأنه بلَّغكم رسالة ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلَّغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها، فتشكروها، وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها، وإخراج الزكاة المفروضة، وأن تكونوا في رباط يشد بعضكم بعض باعتصامكم بربكم فهو مولاكم نِعْمَ المولى لمن تولاه، ونعم النصير. التفسير الميسر

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الروم: ٣٠ – ٣٢

فأقم وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وهو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، فبقاؤكم عليه، وتمسككم به، تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا تبديل لخلق الله ودينه، فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرتك به أيها الرسول هو الدين الحق دون سواه. وأن من فطرة هذا الدين الانابة والتقوي والصلاة ، ولا تكونوا من المشركين وأهل الأهواء والبدع الذين بدَّلوا دينهم، وغيَّروه، فأخذوا بعضه، وتركوا بعضه؛ تبعًا لأهوائهم، فصاروا فرقًا وأحزابًا، يتشيعون لرؤسائهم وأحزابهم وآرائهم، يعين بعضهم بعضًا على الباطل، كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون، يحكمون لأنفسهم بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل. . التفسير الميسر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٩

إن الذين فرقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فرقا وأحزابا، إنك -أيها الرسول- بريء منهم، إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته. . التفسير الميسر

فالاعتصام سبب قوة هذه الأمة، لأنها أمة تسيرتحت راية التوحيد فتري استقامة صفوفها في الصلاة ، ونظام سلوكها في الصيام بأذان تمتنع عن الطعام والشراب وبأذان تأكل وتشرب ، وتكافلها في الزكاة والصدقة تأخذ من الأغنياء وترد علي الفقراء ، وقوتها وعزها في الحج تقف موقف واحد علي صعيدا واحد تلبي بنداء واحد {لبيك اللهم لبيك}

وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ حريص علي وحدة صفها، فطهر القلوب من العقائد الباطلة إلي العقيدة السليمة الراسخة ، وأخذ بها من الإذلال لبعض أصحاب القوة والنفوذ والأموال إلي إله واحد خالق رازق واهب ، ومن الفرقة والتحزب إلي الاعتصام والتأخي والمحبة والتمسك بشرعه الله عزوجل والصبر علي هذا .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَوَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة

وكانت هي أول أركان الدولة المسلمة .. النشأة

العقيدة +الصبر+ الاخاء = دولة مسلمة قوية

الركن الثاني

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة: ٣١

العلم: هو البحث والتنقيب عن كل مجهول ومعرفة الطريق لمحو الظلمات بشعاع من النور ، وقد عرف الإمام بن القيم العلم تعريفاً بليغاً فقال رحمه الله : {فبالعلم يعرف الحق من الضلال ، والحلال من الحرام ، والشك من اليقين هو غذاء الأرواح ونور العيون وشفاء الصدور وهادي القلوب ،هو إرث الأنبياء به يُعرف الله وبه تصح العبادة وبه تُعرف الشرائع والأحكام هو الميزان الذي تُوزن به الأقوال والأفعال وهو الكاشف عن الفتن والشبهات}

نعم إنه العلم إنه الكنز لا يفتقر صاحبه هو ما فضل الله به آدم عن سائر خلقه وهو أول ما أمر الله به نبيه ﴿ﷺ﴾ عندما نزل عليه جبريل ﴿ﷺ﴾ في غار حراء فنزل بأول أمر من الإله العليم الوهاب يحمله الوحى الأمين لكي يبلغه خاتم الأنبياء والمرسلين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ العلق: ١ – ٥

فهو سبحانه الذي علم الإنسان بالقلم فكتب ، ورفع عنه الجهل فعلم ما لم يكن يعلم ، ونقله من ظلمة الجهل إلي أنوار العلم ، وهو الرحمن الذي خلق الإنسان ، وأخرجه من ظهر أب إلي بطن أم ، ومن بطن أم إلي ظهر أرض لا يعلم من أمره شئ فأجري علي اللسان البيان فخرج منه الكلام كي يتعلم فيَعلم ويُعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾

وجعل العلم باب للوصول اليه فلا يقبل الله عمل من جهل كما أن الله لا يقبل علم بلا عمل وما ذُمة اليهود والنصار إلا من أجل ذلك فغضب الله عزوجل علي اليهود لأنهم علموا وتركوا العمل، بل شَبَه اليهود الذين كُلِّفوا بالعمل بالتوراة ثم لم يعملوا بها، كالحمار الذي يحمل كتبًا لا يدري ما فيها، فكذَّبوا بآيات الله فوجب عليهم غضب الله ، ولم ينتفعوا بما أنعم الله عز وجل عليهم، والله لا يوفِّق القوم الظالمين الذين يتجاوزون حدوده، ويخرجون عن طاعته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾

وضلت النصارى لما عملوا ولم يتعلموا واتبعوا أهوائهم وقلدوا وابتدعوا في دينهم ما لم يكتبه الله عزوجل عليهم وغلوا في دينهم فضلوا وأضلوا بغير علم

ولو أنهم تعلموا وأقاموا التورة والإنجيل لكان خيرلهم وأهدي سبيلا وأخذ بهم الي الصراط المستقيم

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)" المائدة وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ {إني لا أخاف عليكم فيما لا تعلمون ،ولكن انظروا كيف تعملون فيما تعلمون} .

قال الحسن البصري رحمه الله

{العامل علي غير علم كالسالك علي غير طريق، والعامل علي غير علم يفسد أكثرمما يصلح ، فاطلبوا العلم لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ،فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتي خرجوا بأسيافهم علي أمة محمد﴿ﷺ﴾ ولو طلبوا العلم لم يدلهم علي ما فعلوا }

{وقيل العلم والد والعمل مولود والعلم مع العمل والرواية مع الدراية } وقال ﴿ﷺ﴾ : {العلم علمان ،علم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم علي اللسان فذلك حجة الله علي ابن آدم } .

ذلك لأن علم القلب هو علم التدبر والتفقه وهو الذي أرشد إليه النبي ﴿ﷺ﴾ في الحديث {ألا إن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله } وعلم القلب يستقيم به الجسد ويلزمه العمل فهو علم الفهم والقول والعمل وانظر إلي بلاغة النبي ﴿ﷺ﴾في قوله علم في القلب أي مستقرٌ في القلب عاقد

عليه مستيقنا به، لا يشبع منه ولا يغيب عنه يأخذه من حال إلي حال ومن فضل إلي أفضل ومن خاص إلي أعم ومن أعم إلي أشمل وانظر أيضا إلي بلاغة النبي ﴿ﷺ﴾ في قوله وعلم علي اللسان أي يجري علي اللسان لا يفقه قلب ولا يستقيم به جسد تنطق به الشفتان ولا تتحرج له الجوارح يقولون ما لا يفعلون ، يريدون حظهم من الدنيا وهذا حال أحد الثلاثة الذين تسعربهم الناريوم القيامة

أبواب العلم

للعلم أبواب تستقبله وتنميه وهي التي دلنا عليها ربنا عز وجل وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل

وجعل السمع يهدي إلي علم اليقين، والبصر يهدي إلي عين اليقين، والفؤاد يهدي إلي حق اليقين ، وسوف يُسأل الإنسان عن هذه المداخل الثالثة التي وهبها الله عزوجل له لتلقي العلم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

أهمية العلم

الناس في حاجة إليه كما أنهم في حاجة إلي الطعام بعد الجوع، والشراب بعد الظمأ، والهواء النقي من ضيق الأنفاس ، والشمس الدافئة في نهار الشتاء، والقمر المنير في ليالي الظلام ، والماء البارد من ظمأ الحر ، فبدون العلم لفر الإنسان من الإنسان بعد الممات فعندما قتل قابيل هابيل كان لا يعلم ماذا يفعل فيه لولا أن قدر الله عزوجل أن يُعلمه كيف يواري سوءة أخيه فتعلم من الغراب ، ولولا العلم لظلت الدنيا في الظلام وما زلنا نسير علي الأقدام ، وما قطعنا المسافات الطوال في بضع ساعات ، ولا عرف الدواء للداء فحمداً لله الذي علم الانسان ما لا يعلم فله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد رحمه الله {الناس إلي العلم أحوج منهم من الطعام والشراب ،لأن الرجل يحتاج إلي الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين ، وحاجته إلي العلم بعدد أنفاسه}

وقال الإمام الشافعي رحمه الله {طلب العلم أفضل من النافلة}

وقال الإمام بن القيم {إن الله سبحانه جعل العلم للقلوب كالمطر للأرض فكما أنه لا حياة للأرض إلا بالمطر فكذلك لا حياة للقلب إلا بالعلم } وقال بن وهب: {كنت بين يدي مالك رحمه الله. فوضعت ألواحي وقمت أصلي .فقال :ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه}.

فالعلم جليس من لا جليس له ، وونيس من لا ونيس له ، وصاحب من لا صاحب له وأهل من لا أهل له ، فليس اليتيم ،يتيم الأب والأم ولكن اليتيم يتيم الأدب والعلم.

وقال علي ﷺ ليس البلية في أيامنا عجباً بل السلامة فيها أعجب العجبُ

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العقل والأدب

ليس اليتيم الذي قد مات والده إن اليتيم يتيم العلم والأدب

فضل العلم :

١/أن يدل أهله علي خالقهم عز وجل حتي يهدوا الناس اليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

الحج:٥٤

٢/جعل الله عزوجل أهله من أهل الشهادة معه سبحانه ومع الملائكة المقربين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

٣/ ميز أهله عن سائر الخلق

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩

٤/طريق الجنة

عن أبي هريره ﷺ قال ، قال﴿ﷺ﴾{من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلي الجنة } فمن مشي علي الأقدام إلي مجالس العلماء وأخلص النية علي أن يبتغي في هذا وجه الله عزوجل جعل له مولاه من كل شئ سبب وسهل له طرق العلم ليفتح له أبواب الوصل إلي الجنة

٥/منح الله عزوجل أهله الرفعة والدرجات العلي

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة:١١

وقال الشافعي رحمه الله

رأيت العلم صاحبه كريما ولو ولدته آباء لئامُ

وليس يزال يرفعه إلي أن تُعظم أمره القوم الكرام

وأهل العلم بين الناس في عزة وشرف وفضلهم عليهم كفضل القمر ليلة كماله علي سائر الكواكب، وأن ملائكة الرحمن تضع أجنحتها لهم لتظلهم بها، ويستغفر لهم أهل السموات وأهل الأرض، حتى النملة في جحرها، والحيتان في بحارها وأنهم ورثة الأنبياء ورثوا منهم العلم وكفي بهم شرفاً أن العلي الكبير الملك الحكيم والملائكة المقربين الأبرار المعصومين يصلون علي من علم الناس الخير.

قال الإمام مالك رحمه الله : {إن حقا علي طالب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعا لأثر من مضي }

٦/ حفظه الله من الدنيا :

عن أبي هريره ﷺ قال : سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول {الدنيا ملعونة ،ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً}

ذلك لأن الدنيا عند خالقها مذموما لأنها حياة لعب ولهو وزينه وتفاخر لمن أخذها داراً له ، واستثني منها النبي ﴿ﷺ﴾ ذكر الله عزوجل وطاعته، وعالم أو متعلم فذكر الله يحي القلوب، والعلم يهدي العقول

٧/ نور من الله

هو نور من الله يقذفه في قلب العالم لكي يضيئ به الطريق ، ويأخذ الناس إلي الطريق الصحيح والصراط المستقيم

قال الإمام الذهبي رحمه الله: { إن العلم ليس بكثرة الرواية ، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الإتباع، والفرار من الهوي والابتداع }

٨/ أهله أهل الخشية

هم أهل الإقبال علي الله بالعلم والطاعة ،والبعد عن الجهل والهوي والمعاصي، ذلك لأنهم يخشون ربهم فيرجون رحمته ويخافون عقابه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ فاطر: ٢٨

٩/ العلم دواء الجهل

عن جابر بن عبد الله قال: {خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ قالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر علي الماء فاغتسل فمات ، فلما قدمنا علي النبي (ﷺ) أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله : ألا سألوا إذا لم يعلموا ؟ فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب علي جرحه خرقه ثم يمسح ويغسل سائر جسده } فلم يجد العلماء داء أشد علي الأمة من داء الجهل لأنه يقتل ، ويذل، ويهدم، ويضل فلا حياة بدون علم، ولا علم بدون سؤال، قال الإمام بن القيم رحمه الله {إن الجهال هم شر الدواب علي اختلاف أصنافهم من الحمير والسباع والكلاب والحشرات وسائر الدواب ، فالجاهل

أشر منهم وليس علي دين الله ومنهج الرسل أضر من الجاهل بل هم الأعداء علي الحقيقة} ومن أجل ذلك شرع السؤال لمن جهل المسألة

١٠/ العلم إرث الانبياء

عن أبي الدرداء ﷺ قال : سمعت رسول الله(ﷺ) يقول:

{إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر}

فالعلم رسالة الأنبياء، والعلماء هم حُمَال هذه الرسالة تتوارث إلي من يطلبها ويبحث عنها، يريد النفع العام في تقدم المجتمع والبشرية، فبجهد العلماء تستضيئ الدنيا بنور العلم وتنجلي ظلمة الجهل، فمن ورثي المال فالمال يفني ، ومن ورثي الذهب فالذهب يذهب، أما العلم فهو ارث لا يفني ولا يذهب ويزداد إلي قيام الساعة.

١١/ العلم نجاه

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي (ﷺ)قال {كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل علي راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبه ؟ فقال لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل علي رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ، ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ انطلق إلي أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالي فاعبد الله معهم،

ولا ترجع إلي أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتي إذا كان نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلي الله تعالي، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم: أي حكما : فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلي أيتهما كان أدني فهو له فقاسوا فوجدوه أدني إلي الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة }

نعم العلم نجاة نجّا نفساً من الموت ومفارقة الحياة، ونجا نفساً من المعاصي وعذاب النار! هدى قلباً حائراً بين التوبة والذنب، إنه العلم ولكن: من أين يؤخذ العلم؟ يؤخذ العلم من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب فيه خبر ما قبلنا وحكم ما بيننا، ونبأ ما بعدنا، كتاب أنزله عزيزٌ حكيم، يُعز به من تمسك به وتدبره وأخذ به ولم يتركه، بحكمة إله عليم، يعلم أحوال خلقه فأنزل عليهم ما ينفعهم في حياتهم حتى يكونوا خلفاء الله في أرضه، وينفعهم في أُخراهم فيكونوا في جنات النعيم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنبياء.

كتاباً فيه عزكم أفلا تعقلون، كتاباً فيه مجدكم أفلا تعقلون، كتاباً فيه علوكم أفلا تعقلون، أفلا تعقلون ما فيه من كنوز العلم وحياة الروح وغذاء العقل، فبالعلم تحيا الروح، وبالعلم تتغذي العقول، وبالعلم ترتاح القلوب يُؤخذ من هدي الرسول العدنان الذي دلنا على كل نفع وحذرنا من كل ضر

قال (ﷺ) {تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي}. فكم من عالم أخذ من كتاب الله العليم الحكيم دليلا على درب الحياة، فكان سبباً في التقدم والعلو ومن العلماء من استخلص من كتاب الله الكثير من الإعجاز العلمي الذي أبهر العقول، وشرح الصدور، و أبصر العيون. نعم فقد جاء الإسلام يوقظ العقل ويدعو إلى التدبر والبحث في وقت تحجرت فيه العقول بين مادة اليهود، ورهبانية النصارى، ووثنية العرب، دعا إلى أول شيءٍ ملموس عندهم وهي الإبل فقد رأتها العين ولكن دعاهم ربهم إلى النظر في خلقتها، فاتحاً لهم باباً من أبواب العلم وهو{علم الحيوان} وهو لم يعرف من قبل.. دل الإسلام عليه في كتاب الله عزوجل، ثم دعاهم إلى نظرة علوية، إلى السماء وارتفاعها وما فيها من كواكب وشمس وقمر ونجوم، فاتحاً لهم باباً من أبواب العلم وهو{علم الفضاء والفلك}، دل عليه أيضا كتاب الله عزوجل، ثم دعاهم إلى نظرة كونية إلى الجبال الرواسي الشامخات فاتحاً لهم باباً من أبواب العلم وهو{علم الجيولوجيا} وهو أيضاً لم يعرف من قبل، دل عليه الإسلام في كتاب الله عزوجل، ثم دعاهم إلى نظرة أرضية للبحث في تلك الأرض التي سطحت، وما فيها من زروع وثمار وأنهار وبحار ومحطات فاتحاً لهم باباً من أبواب العلم وهو {علم الزراعة} وعلم {البحار} دعا إليه أيضاً كتاب ربنا عز وجل،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾

ثم دعاهم إلى نظرة أخرى إلى هذا الجسد، وما بداخله فاتحاً لهم باب من أبواب العلم وهو {علم الطب} دعا إليه أيضاً كتاب ربنا عزوجل،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

ثم فتح لهم باباً آخر من أبواب العلم وهو {علم الأحياء البيولوجيا الجزيئية} دعا إليها أيضاً كتاب ربنا عزوجل، "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15)"المؤمنون: ١٢ - ١٥

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله﴿ﷺ﴾ فقال: {إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح} فهذه المراحل التي أشار إليها النبي ﴿ﷺ﴾ لم تعرف إلا من قريب فالإسلام منذ أن ظهر، وهو منارة للعلم والعلوم وقد امتلئت مكتبات تحمل الكتب العظام في جميع العلوم والمرجعيات الدينية والعلمية، فكانت بغداد قلعة العلم حتى أنه لما أراد التتار عبور نهر الفرات لم يكن أمامهم إلا أن ألقوا بهذه الكتب في هذا النهر كي يمروا عليها من كثرتها، وعلو مكانة المسلمين بها بما فيها من علم،

وقد جعل الله عزوجل لكل شيءٍ منتهى إلا العلم لم يجعل له منتهى، فأعطى نبي الله سليمان ملكاً لم يصل إليه أحد فكلم الطيروحشر له جنود الجن والإنس وسُخرت له الريح، وكان ملكاً نبياً، وأعطى نبي الله يوسف الحسن والجمال فلم تقاومه امرأة العزيزوالنسوة اللاتي أتين القصرحتى قلن: حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم، وأعطي قارون الكنوز من الأموال التي لم تحملها إلا العصبة من أصحاب القوة، وأعطى نبي الله أيوب كمال الصبر الذي لا يتحمله بشر إلا بإذن مولاه، وأعطى نبي الله إبراهيم الحُجةَ التي أخرست ألسن الكفار، وأعطى نبي الله موسى القوة التي أبهرت الفتاة، وأعطى نبي الله محمدًا جوامع الكلم بلغة القول الذي أعجز العرب أما العلم فلا منتهى له ولا ينتهي إليه أحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف: ٧٦

كي يتجدد البناء وتتوسع القدرات، ويوفق الله عزوجل من يشاء من عباده ويختار من البشر من يجدد الحياة ويبتكر ما ينفع الناس، ولو انتهى العلم إلى أحد ما كان هناك تطور للحياة ولا انتفع الناس ولكان كل غايتهم الطعام والشراب، ولو انتهى العلم إلى أحد لمات العلم حيث مات، بل إن النبي معلم الأمة قال عنه ربه عزوجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥

وطلب من النبي وأمته أن يدعوه أن يزيدهم من هذا العلم.

وذهب موسى كليم الرحمن وهو من أكرم الخلق على الله وأعلمهم به، ذهب لطلب العلم ومعه فتاه حتى بلغ ما بين مجمع البحرين ولقيا في سفرهما نصبا ورأى الحوت الذي جهز للطعام يعود إلى الماء، تعجب وعاد على الأثر حتى وجدا عبداً من عباد الله آتاه الله رحمة وعلماً فتعجل موسى عليه، وعاد ومعه ثلاثة مسائل نأخذ من هذه المسائل خمسة أنوار، الصبر على طلب العلم ولو في مشقة، البحث عن العالم الرباني الذي نأخذ عنه العلم، الأدب مع المعلم، والتأني في التعلم، ليس ظاهر الأمر كباطنه!

وقد فرض النبي (ﷺ) علينا العلم، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال (ﷺ) {طلب العلم فريضة على كل مسلم} فالعلم فرض على كل من دخل في هذا الدين، وأصبح من المسلمين، وتارك العلم أشد من تارك الصلاة، لأن الصلاة تسقط مع الأعذار كالحيض والنفاس، والعلم لا يسقطه شيء، فمن قدم على عمل ولم يتعلم كيفية العمل فهو آثم غير مأجور ومردود عليه عمله، وإن ظن أنه حسن وليس فيه من حسن لأنه لم يكن على علم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣

وقال الإمام الشافعي:

علمي معي حيثما يممت ينفعني * قلبي وعاء له لا بطن صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي * أوكنت في السوق كان العلم في السوق

فمن دخل الإسلام ونطق الشهادة ولم يتعلم شروطها، فهو أضر على نفسه وعلي المجتمع المؤمن ممن لم ينطق بها، فإنه مع جهله لم يدرِ البدعة من السنة، ولا التوحيد من الشرك.

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ فجاء العلم قبل العمل فمن صلى ولم يتعلم الأركان والشروط فكأنه لم يصلّ، ففي حديث المسيء إلى صلاته بين له النبي أنه لم يصلّ مع أنه ظاهراً صلى حتى رده ثلاث وفي الأخيرة قال له: يا رسول الله لا أعلم غيرها فعلمني.

فبدون العلم تضل الأمم وتذل الشعوب، بدون العلم يكون القتل تحت كل مسمى: الدين تارة والوطن تارة والقومية تارة والديموقراطية تارة والعلمانية تارة، والكل حمية لا علم فيه والكل إنتاج جهل وغياب عقل فلو عقلوا لبحثوا ولو بحثوا لتعلموا ولو تعلموا لنفعوا وانتفعوا!

"إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" الفتح: ٢٦

بدون العلم لا تسأل عن دين ولا وطن ولا أمن ولا أمان، بل لا تسأل عن حياة وللعلم شروط أذكر منها على قدر علمي:

١/ تقوى الله: وتقوى الله هي الخوف والرجاء فإن خفته أمنك، وإن رجوته وهبك العلم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢

٢/ الإخلاص: أن تبتغي رضا الله فيه والنفع للناس أجمعين والأجر والقبول من رب العالمين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٤

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: {إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل به، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً}.

٣/ الاتّباع: أن يكون بنهج سليم وفهم سديد وطريق مستقيم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

٤/ اغتنام الوقت: فإنك إن لم تملأ فراغك بالعلم ملأته بالجهل، فوظف وقتك لعلمك، ووظف علمك لعملك، ووظف عملك ليكون رسالة عن علمك وزينه بأحسن الأخلاق: ومن أقوال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: {أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر}.

واحذر من فوات العلم واحرص عليه فإنه يقبض بقبض العلماء، فإن لم تتعلم فربما لا تجد من يدلك فاحرص عليه فهو أغلى من الحياة، وأفضل من الأموال وفي هذا قال الزهري رحمه الله: {كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضاً سريعاً، فنعش العلم (أي: إحياء العلم) بثبات الدين والدنيا، وفي نهاية العلم ذهاب ذلك كله}.

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: {ليس عام إلا والذي بعده أشر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خيرٌ من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرآئهم فيهدم الإسلام ويثلم} فما أصعب من أن نتكلم بدون علم، ونهتف بدون فهم، ونتحرك بدون وعي وننطق بدون عقل ونشتكي لغير حكيم، ونسير بغير دليل فهذا هو واقعنا الأليم!

من أجل ذلك كانت أركان الإصلاح ، فجاءت النشأة بالعقيدة السليمة، والثبات عليها بالصبر، والأخوة المعينة عليها لتكون دولة مسلمة قوية، ثم جاء العلم يرفع قدرها ويجعلها قائدة الأمم تبني قصور مجدها، وتسطر حروف عزها، فهي أمة جعلها ربي خير الأمم لأنها تأمر بكل معروف، ولا يكون المعروف إلا بعلم، وتنهى عن المنكر، لأن المنكر عنوان الجه ، فالنشأة بناءٌ، والعلم لها عنوان!

والحمد لله رب العالمين، والصلاة على خاتم النبين.

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017